حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السادس . شهر شوال . ١٤٣٧ هـ / تموز . ٢٠١٦ م

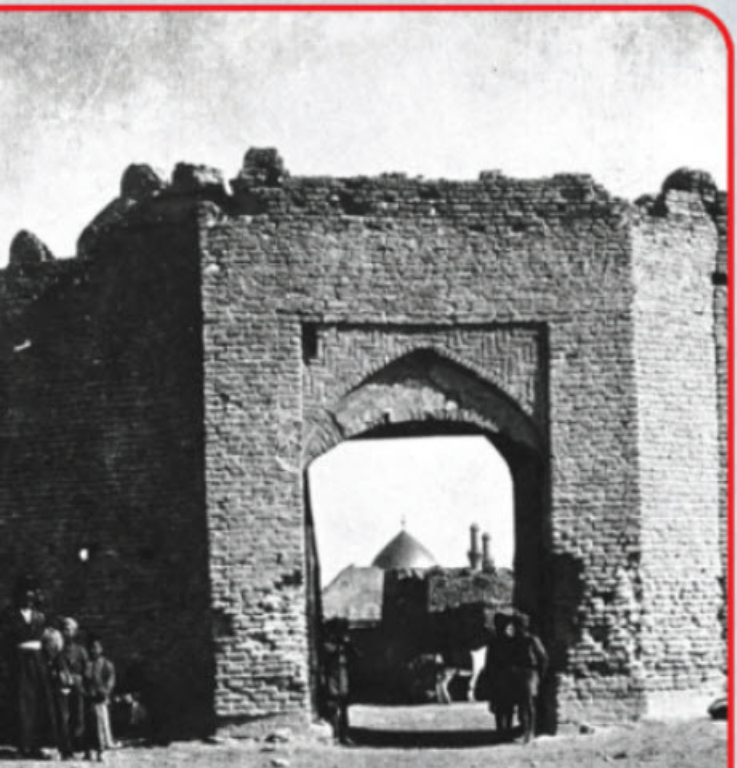

عدد ممتاز

بمناسبة ختام فعاليات عام الامام علي (عليه السلام)

٦

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

رئيس التحرير
د. كامل سلمان
الجبوري

(9)

ميثم بن يحيى التّمار

العلامة الشيخ محمد الحسين المظفري

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ذي المجد والطّول والقوّة والحول الّذي أنعم على عباده بالهداية والإرشاد والتّوفيق والسّداد والصّلاة والسّلام على رسول الرّحمة والإصلاح والرّشاد والفلاح محمّد خيرة عدنان وآله علة الأكوان ونبراس الزّمان.

ميثم التّمار

أبو سالم ميثم[1] بن يحيى[2] التّمار النّهرواني وكان يبيع التّمر بالكوفة فلقب بالتّمار[3] مولى أمير المؤمنين(عليه السلام) وخاصته وحواريه، ومستودع أسراره، ومغرس علومه، يقول ابن أبي الحديد كان ميثم قد أطلعه علي(عليه السلام) على علم كثير وأسرار خفية من أسرار الوصية[4].

وكان الجدير بمثله أن تتحفنا عنه كتب الحديث والسّيرة والتّاريخ والتّراجم بأخبار طريفة وآثار ممتعة تجعله مثالاً صالحاً وقدوة حسنة فإنّ في حياة مثله مفخرة للإسلام وتشجيعاً لأبنائه على محاسن الفعال وكم ضاعت سيرة نظائره واندرست معالم أشباهه، حيث خلت بطون الكتب من حياته إلا نزراً وأن ابتعاد أيامه عن أيامنا يميت من أحواله ما تتناقله الألسن وتلوكه الأفواه، فلا الصّدور ولا السّطور تحفظ لنا شيئاً جمّاً من أمره، فماذا يصنع الكاتب لو حاول أن يستفرغ وسعا في الكتابة عنه ولا يجد لو راجع عشرات الكتب مما لها مساس بالتّاريخ والرّجال والحديث بضاعة يقدر على استخراج ترجمة ضافية منها لاسيّما عن حاله قبل أن يشتريه أمير المؤمنين(عليه السلام).

فلدينا عن شأنه أمور غامضة لا نقدر على تصويرها للعيان تصويراً كافياً يستفيد منه السّامع والقارئ، وإليك شيئاً منها، ما هو أصله، ومن أي البلاد هو، ومن أين جاء حتّى انتهى إلى الكوفة، ومتى كان إسلامه وهل سبقه أبوه بالإسلام، وهل كان أبوه مملوكاً أيضاً وكم كان عمره يوم قتله، وما هي آثاره العلمية، إلى غير هذه من الشّؤون الّتي على الكاتب أن يبحث عنها، ولكن أبى لنا بما نحاول ولا صدور ولا سطور نلتمس منها هذه الفوائد، فلا بدع لو جاءت ترجمة ميثم وأنداده غير وافية بالغرض، وعسانا أن نستقي من المنابع الّتي بين أيدينا بعض ما ينقع الغلة ونأتي ببعض ما يستراح إليه.

ما أصله، وما بلده

أمّا اسمه واسم أبيه فهما عربيان ولئن استعمل الأعاجم الأسماء العربية فذلك في العهد الّذي انتشر فيه الإسلام وتغلبت اللّغة والسّلطة العربيتان على بلاد العجم ولم ينقل التّاريخ أنّ للأعاجم أسماء عربية في زمن سلطانهم لرجالهم المعروفين.

وهكذا نسبته وهي النهرواني[5] فإنّ النّهروان كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشّرقي فهو واد في العراق، ولم يذكر ياقوت في معجم البلدان سواه إلا ما ذكره عن القاضي أبي الفرج المعافى بن زكريا النّهرواني وسماعه لمناد من الحجاج في مكّة ينادي بكنيته واسمه واسم أبيه ونسبته فاعتقد القاضي أنّه هو المنادى فلمّا أجابه القاضي قال له المنادي لعلك من نهروان الشّرق وأنا أطلب رجلاً يوافقك في ذلك من نهروان الغرب فتعجب القاضي أبو الفرج من هذه

---

(1) بكسر الميم.

(2) وفي بعض كتب الرّجال ابن عبد اله والأوّل أكثر.

(3) وجاء في حديثه مع حبيب كان بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ في دار الرّزق وعسى أن يكون بيعه البطيخ بعد شهرته بالتمار.

(4) نقلاً عن كتاب الغارات لإبراهيم الثّقفي.

(5) رجال الكشير ص(رحمه الله).

الموافقة في الجميع ومن وجود نهروان في الغرب ولو وجد نهروان في الغرب ولا ندري أين هذا النّهروان فالأقرب أن يكون عربياً لأنّ النّداء كان عربياً وكذلك الكنية والاسم واسم الأب هذا ما يشهد لعربية ميثم إلا أنّه يجوز أن تكون الأسماء عربية واستعملها العجم خصوصاً في البلاد المجاورة للعرب وأمّا النّهروان فإنّه وإن كان في العراق إلا أنّ العراق ولاسيّما شرقي دجلة كان فارسياً وبالقرب من عاصمة الأكاسرة والنّهروان كما يقول ياقوت كورة واسعة وعليه قرى كبيرة ونقل عن حمزة الأصبهاني أنّه واد جرار يقبل من نواحي أذربيجان إلى العراق ولعلّ ميثماً من أعاليه الّتي في أذربيجان بل وحتّى لو كان من أدانيه الّتي بالقرب من دجلة لكان فارسياً لأنّ القرى الّتي على النّهروان كانت على فارسيتها بعد الفتح إلى عهد أبي الحسن أو قبله بقليل.

ويصرح بأعجميته ما جاء عن أمير المؤمنين وعن سؤاله عن اسمه بعد أن اشتراه من الأسدية وقول أمير المؤمنين له أخبرني رسول الله(ﷺ) أنّ اسمك الّذي سماك به أبوك في العجم ميثم، وقول ابن زياد لما أخبروه عن ميثم، ويحكم هذا الأعجمي وقوله له أيضاً: وإنّك على عجمتك لتبلغ ما تريد فبهذا ومثله يمكن أن نستيقن بعجمية ميثم ولكن لا نعرف من أي بلاد العجم كان، وإذا كان من أهل النّهروان فهل هو من نهروان الشّرق أو نهروان الغرب إن كان في الغرب نهروان كما أننا لا طريق لنا إلى معرفة الأعجمية وإنّ المراد منها الفارسية أو غيرها لأنّ العجمية تطلق على ما عدا العربية من دون اختصاص لها بالفارسية نعم إذا صح أنّه من نهروان العراق فهو فارسي.

وهل هذه النّسبة -النّهرواني- جاءت إليه لأنّه تولد في بعض قرى النّهروان أو سكن فيها منتقلاً من بلاد أخرى من العجم، ليس لنا سبيل للبت في واحدة منهما.

من أين جاء إلى الكوفة

كان مولده ومنشؤه وبلده مجهولاً كلّه فمن أين نعرف أنّه من أين جاء إلى الكوفة، وكيف انتهى إليها ومتى وقع في الملك وكيف ملكته الأسدية نعم أكثر ما استفدناه ظناً أنّه من فارس لأنّ النّهروان الشّرقي كان فارسياً قبل الإسلام وبعده بقليل.

إسلامه

لم ترو لنا كتب التّاريخ ولا غيرها وقت إسلام ميثم ولكنّ الّذي نعتقد أنّ إسلامه كان سابقاً على شراء أبي الحسن له لأنّ مثله من رجاحة العقل لا يبقى على الكفر لو كانت ولادته في غير بلاد الإسلام وقد حلّ بين المسلمين وبراهين الإسلام نيرة، وحججه قائمة، بل هناك ما يشهد لإسلامه قبل اجتماعه بأمير المؤمنين، لأنّه قال لأبي الحسن(عليه السلام) صدق الله وصدق رسوله(ﷺ) وصدق أمير المؤمنين حين قال له أبو الحسن: أخبرني رسول الله(ﷺ) أنّ اسمك الّذي سماك به أبوك في العجم ميثم، بل أنّ هذا القول منه يشهد لإيمانه وولائه لأمير المؤمنين(عليه السلام) قبل أن يلاقيه ولا غرابة لأنّ مثله حقيق بأن يهتدي إلى الإيمان والولاء ما دامت البراهين ساطعة عليهما ومادام أمير المؤمنين حديث الرّكبان في كلّ فضيلة وفي كلّ شأن، والكوفة علوية قبل أن تكون عاصمة لأمير المؤمنين(عليه السلام) نعم لا يمكننا أن نعرف عنه متى أسلم، وكم كان عمره يوم إسلامه ولعلّه كان مولوداً في دار الإسلام فنشأ عليه وذلك بأن ولد بعد الفتح لفارس كما لا سبيل إلى معرفة حال أبيه وشأنه وإسلامه.

ميثم عبد

العبد عند العرب المملوك وميثم كان ملكاً لأسدية[1] واشتراه المرتضى فاعتقه ولكن ليس في اصطلاحهم أن يكون العبد أسود، فلا نعرف من كونه عبداً أنّه أسود اللّون فلقد كانت العرب وقد استولت على فارس وغيرها من البلاد البيضاء تملك الكفار المحاربين بالأسر وبالاستيلاء عليهم كما هو الشّأن في المسلم والكافر الحربي وملكية الأوّل للثّاني لو استولى عليه فكلّ من ملكوه سموه عبداً فلا نعرف من هذا أنّه كان أسود بل الأقرب أن يكون أبيض لنسبته إلى النّهروان وأهله بيض ولو كان منسوباً إلى النّوبة أو غيرها من بلاد السّودان والأحباش لجوزنا عليه السّواد أو الحبشية.

عصران لأمير المؤمنين بعد الرّسول(ﷺ)

كان لأمير المؤمنين(عليه السلام) عصران بعد الرّسول(ﷺ) الأوّل ما كان فيه حلس البيت لا يزوره أحد إلا قليل من النّاس ولا يزور أحداً إلا قليلاً لأنّ قرب النّاس منه وقربه منهم يجعله ويجعلهم عرضة للتنكيل أجل كان يخرج من زاوية البيت إلى زاوية المسجد للعبادة أو الإفتاء وهذه ظاهرة لا مجال للكيد فيها إذ ليس فيها همس ولا دونها ستار فالعذر فيها والاعتذار منها ذو فسحة وسيعة ولكنّ من الّذي يجعل نفسه هدفاً للوم فيحتاج إلى الاعتذار وعسى ألا يجديه وقد يفاجئه العقاب قبل الإنذار.

والعصر الثّاني هو العصر الّذي جاءته الخلافة فيه تجر أذيالها مذعنة له.

وفي العصرين كان له صفوة من الأصحاب يستدر بهم الغمام، وقد بقي لديه من أهل العصر الأوّل للعصر الثّاني فئة

(1) إرشاد المفيد.

أمثال عمار بن ياسر وجابر الأنصاري وابن عبّاس وحبيب بن مظاهر وعمرو بن الحمق الخزاعي وقيس بن سعد وأبي رافع ومحمّد بن أبي بكر وحجر بن عدي الكندي ونظائرهم.

وقد أنتج العصر الثّاني زمرة ندر أن يكون مثالهم في الدّهر كزيد وصعصعة ابني صوحان وأويس القرني والأصبغ بن نباته وعلي وعبيد الله ابني أبي رافع ومالك الأشتر ورشيد الهجري وميثم التّمار وكميل بن زياد وأشباههم وكان هؤلاء مثالاً للفضيلة وكرم الأخلاق وخزنة للعلم والأسرار كأنّما شاهدوا الخليفة فغابوا عنها ثمّ عادوا إليها هكذا مرات عديدة أو طال بهم العمر فرأوا الأجيال والقرون وعاشروا الأمم والبطون فاعتبروا بها واختاروا من الأعمال أحسنها ومن الأخلاق أفضلها وما كان كلّ ما لديهم ذلك، بل منحهم أمير المؤمنين من غامر علمه واستأمنهم على غامض أسراره، مما لا يقوى على احتماله غير أمثالهم والنّاس معادن وهل ينبت الشّجر في السّبخ وينثر البذر في الملح فجمعوا هؤلاء إلى العلم سره وجهره الفضائل نفسيه وخلقيه ذاتية وكسبية والعبادة قولاً وعملاً وجارحة وجانحة.

ولا أدري كيف اكتسب أولئك النّفر الأفذاذ أهل العصر الأوّل من أمير المؤمنين جميل الفعال والخصال وأخذوا عنه أسرار العلم وعلم الأسرار، حتّى زكت بهم النّفوس وكادوا أن يزاحموا الملائكة المقربين في صفوفهم، وغبطهم الملأ الأعلى على ما اتصفوه به من كمال الذّات والصّفات، وأمير المؤمنين(عليه السلام) مغلوب عليه حلس البيت لا يداني النّاس ولا يدانونه.

وكيف سما هؤلاء الفئة الصّالحة في العصر الثّاني وتعلموا من أمير المؤمنين هاتيك العلوم الإلهية واكتسبوا منه تلك الفضائل العلوية حتّى صاروا أهلاً لأن يأتمنهم على نفائس الأسرار وأسرار النّفائس فكادوا أن يكونوا بعد التّصفية والتّنقية ملاكاً مجرداً عن النقائص لا يعرفون الرّذيلة ولا تعرفهم وأمير المؤمنين(عليه السلام) مشغول بحروبه مشغول بالأمّة جمعاء، والأمد قصير والزّمن لا يتسع لذلك التّعليم والتّعلم إلا أن يكون الأمر الّذي هيأهم لأن يصبحوا مثالاً للعلم والفضيلة والصّلاح لا ينافسهم في نفائسهم بشر هو قدرة أمير المؤمنين(عليه السلام) على سرعة التّربية مع طيب التّربة فيهم، ولا غرابة فإنّهم إن وعوا شيئاً من تعاليمه سمت بهم رتبة علية وأهلتهم لأن يكونوا أتربة صالحة لبذر تعاليمه للرتبة الأخرى، وهكذا في نمو التّربية والإسراع بها كل على صلاح تربته وكان(عليه السلام) إذا عرف صلاح التّربة للتّربية بذر من تعاليمه ما يزيدها نمواً وسمواً.

نفاسة المعدن

النّاس معادن كمعادن الذّهب والفضة، والمعدن لا يتحول بطبيعته من نوع لآخر، فالذّهب لا ينقلب فضة والفضة لا تتحول إلى ذهب إلا ما شاء الله والبلد الطّيب يخرج نباته بإذن ربّه والّذي خبث لا يخرج إلا نكداً «الأعراف 56».

أجل لا ينكر أنّ للتّربة والتّربية أثراً ملموساً في سرعة نمو المعدن أو بطئه وفي نقائه وصفائه أو كدره ودرنه فقد يجعل العارف بالتّصفية من الذّهب إبريزاً ينطبع بيد الصّاغة الخبراء كيفما شاؤوا يجعلون منه حلية للسّوق والصّدور والمعاصم والنّحور، بل كيفما صغته وأينما وضعته كان حلية مزينة وزينة ثمينة.

فليست التّربة وحدها كفيلة بجودة ما تنبته ولا التّربية وحدها ضمينة باعتدال ما تثقفه، فمن ههنا عرفنا أنّ التّربة والتّربية معاً كفيلان بجودة المعدن أو رداءته ولولا نفاسة المعدن ما استطاع المنقي أن يجعل منه إبريزاً، وهل يستطيع أرباب التّصفية أن يجعلوا من الفضة ذهباً ومن النّحاس فضة، ولولا ذو التّصفية ما كانت نفاسة المعدن تجعل منه عقياناً صافياً من كلّ شوب.

إنّ ميثماً التّمار قد جعلت منه نفاسة معدنه وجميل تربية أبي الحسن(عليه السلام) له ذلك الرّجل الفذ في كلّ خلة كريمة، وكم من ذي معدن نفيس لم يستول عليه رجال الفن في التّنقية فلم تظهر فيه تلك النّفاسة ولم ينفع العالم بنفيس ذاته، وكم من ذي معدن خبيث لم تصلحه التّربية والتّربة فظهرت للنّاس نتونته وإن طلي بغالي الطّيب والشّجرة المرة لا تثمر إلا مراً وإن طليت بالعسل.

فهذا مالك الأشتر، وهذا الأشعث بن قيس، وكلاهما زعيمان كبيران وقائدان مطاعان في قومهما صحبا أبا الحسن وحضرا حروبه وجاهدا بين يديه، ولكن لما كان الأوّل من النّفيس والثّاني من الخسيس نفعت الأوّل تلك الصّحبة والتّعاليم ولم تنفع الثّاني تلك الجهود في التّصفية والتّنقية مع خبرة المعلم وفنية المصفي وهل تجعل التّصفية من النّحاس ذهباً ومن الحصى ألماساً وهل تطيب الجيف إذا جاورت الطّيب، ويحلوا الأجاج إذا قارب الفرات.

فلولا أبو الحسن لم يكن مالك كما كان ولولا نفاسة معدنه لم يكن مالك كما أراد أبو الحسن، ولماذا لم يكن الأشعث كما شاء المرتضى وهو من رجاله وأعلام جيشه، وكم كان في رجال أبي الحسن مثل مالك في النّفاسة، ومثل الأشعث في الخساسة، يذكر ذلك على الدّنو والاقتراب ويزيد هذا نتناً على المجاورة والمحاورة.

إنّ مجاورة الطّيب قد تزيد في نتانة الجيف، لا أنْ الدّنو علة في الازدياد حقيقة لكنّ الجيف يظهر نتنها إذا جاورت الطّيب، والملح يبدو أجاجه إذا قارب الفرات، والنّحاس تعرف بخسه إذا ضم إلى العقيان كما إنّ فضل النّفيس يبدو إذا قيس بالخسيس وضم إلى جنب الدّني والضّد يظهر حسنه الضّد، وكيف تعرف عرف المسك إذا لم تشم الجيف ونفاسة الذّهب إذا لم تشاهد النّحاس وغلاء الألماس إذا لم تعلم قيمة الحصى.

فمالك وميثم وأويس وقيس وأضرابهم من رجال أبي الحسن ما عرفنا نفاسة المعدن فيهم جيداً لو لم نعرف إلا شعث وزياداً وابن ملجم وشمراً وأمثالهم وليس الخسيس يكشف لك عن غلاء النّفيس فحسب بل النّفيس أيضاً يكشف لك عن دناءة الخسيس وذلك حين تجمعهما في صعيد واحد وتقاس بين الخصائص منهما فلولا الرّفيع ما عرف النّاس خسة الوضيع ولولا الوضيع ما فهم النّاس شرف الرّفيع.

رسول الله(ﷺ) وميثم

كان رسول الله(ﷺ) يخلو بعلي يناجيه ومن يعلم بماذا يناجيه ومن يعلم ماذا يستودعه وبماذا يوصيه وما هما إلا روح واحدة في جسدين ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ وما هما إلا علم واحد في خزانتين، أنا مدينة العلم وعلي بابها وما ميز بينهما إلا النّبوّة أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي وما كان يعرف حتّى أزواجه اللّواتي هن أقرب النّاس منه «هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن» ما كان يدور بين سيد المرسلين وبين أمير المؤمنين عليهما وآلهما السّلام ومن يطيق أن يحتمل علم الرّسول غير وصيه وخليفته إن علمنا وفي حديث أنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، نعم قد يستمع منه بعض أزواجه شيئاً من الأسرار والوصايا حينما يوحى بها إلى أمير المؤمنين فيما لا يضرهن استماعه، ولو كان رسول الله(ﷺ) يعلم أنّ المستمعات لمناجاته لا يقوين على تحمل تلك المناجاة لأبعدهن عن الاستماع أو لأخفى تلك المناجاة شأنه دوماً في تلك الخلوات.

كانت أم سلمة زوج النّبي(ﷺ) تلك البرة الطّاهرة تلتقط من المناجاة دراً ثمينة، ولو لم تكن جديرة بالتّزين بهاتيك الأخلاق النّفيسة لكانت أبعد نسائه عنها فما التقطته منه وصاياه لأبي الحسن(عليه السلام) في ميثم، دخل ميثم وهو يريد الحج على أم سلمة فقالت له طالما سمعت رسول الله(ﷺ) يذكرك في جوف اللّيل ويوصي بك علياً(عليه السلام) وهذا صريح بأنّ الذّكرى والوصية وقعتا مرات عديدة لا مرة واحدة والّذي يصدق أم سلمة في هذا قول أمير المؤمنين(عليه السلام) لميثم حين رآه أوّل مرة، أخبرني رسول الله(ﷺ) إنّ اسمك الّذي سماك به أبوك في العجم ميثم ما أكبره مقاماً وأعظمه شأناً وهذا هو الإيمان المحض والعبودية الخالصة، بل أنّه لشأن لا نصل إلى مداه بالحس والعلم، إنّ النّاس ولا ريب مراتب ودرجات وقد تبتعد المسافة ما بين الرّتبتين والدّرجتين بأبعد ما بين السّماء والأرض، وإذا بعدت المسافة جهل الوضيع كنه الرّفيع، أجل ولعلّك تقول إذن لا نعرف الأماثل من النّاس والعلماء والصّلحاء من البشر، بل كان النّبي والإمام أجدر بالخفاء فكيف نعرف نبوته وإمامته، وكيف نتبعه ونستمع إليه ونحن نجهله، فإنّي أجيبك بأنّ الجهل بالكنه والحقيقة لا يمنع عن المعرفة معرفة ما من الآثار قدر علم العارف وعرفانه وإحساسه وإدراكه فإنا حين جهلنا كنه الخالق فلا نجهل وجوده ووحدانيته وسائر صفاته من آثاره ومخلوقاته وإن خفيت علينا معرفة ذاته، يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا حقاً إننا لا نعرف الله وصفوة خلقه معرفة حقيقية فالنّبي والإمام وكبير النّفس من النّاس إنّما نعرف منزلته الظّاهرة على قدر ما نحس وندرك منها، وعلى قدر ما نعرف ونعلم من مآثره وآثاره ومن ثمّ تجد النّاس تختلف تحديداً وتعريفاً في معرفة شخص واحد مع أنّ علمه وفضله وشأنه وخلقه واحد لا اختلاف فيه وما ذاك إلا لاختلاف الإدراك والحس والعلم والفضل في العارف دون المعروف.

فميثم بلغ من شأنه أن يذكره الرّسول(ﷺ) في جوف اللّيل مرّات عديدة وهي الّتي سمعوها منه فكيف بالّتي لم تسمع، ولا بد وأن يذكره مرتاحاً بذكره داعياً له، وبلغ من فضله وعلو مقامه أن يوصي به وصية المرتضى أو ليس هذا نبأ عظيماً يرشدنا إلى عظم المنزلة من ميثم عظماً لا نصل إليه بإحساسنا ولا نعرف مقداره بعرفاننا لبعد ما بين المنزلتين وتباين ما بين الرّتبتين.

وما جاء الحديث في وصية النّبي(ﷺ) وذكراه لأحد من أهل العصور المتأخرة إلا عن أفذاذ من النّاس أمثال زيد بن صوحان وأويس القرني[1] وميثم، على كثرة النّاس، ووفرة

(1) في الإصابة «عليه السلام/صلى الله عليه وآله/رضي الله عنه» وتاريخ بغداد «رضي الله عنه/صلى الله عليه وآله/عليه السلام» قال رسول الله(ﷺ) من سره أن ينظر إلى رجل تسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان وقد تحقق قول النّبي(ﷺ) فإنّ يده قطعت يوم القادسية وقتل شهيداً يوم الجمل مع أمير المؤمنين(عليه السلام) وفي صحيح مسلم «عليه السلام/صلى الله عليه وآله/رضي الله عنه»، إنّ النّبي(ﷺ) ذكر أويس القرني فقال: لو أقسم على الله لأبره وفي الإصابة مروه أن يستغفر لكم شهد صفين مع علي(عليه السلام) وخرج في بعث لأمير المؤمنين(عليه السلام) ولما التقوا مع العدوّ جاءته رمية على فؤاده فمات.

المسلمين وعدة المجاهدين والعلماء الصّالحين فلا نعرف من هذه الذّكرى والوصية إلا أنّ ميثماً على حد قوله المهيار.

ما أكثر النّاس وما أقلّهم وما أقلّ في القليل النّجبا

فما أقل أمثال ميثم في الصّفوة المنتقاة من هذا العالم المحسوس أنّ الشّاكر لقليل وقليل من عبادي الشّكور وأنّ العاقل لقليل ولكنّ أكثر النّاس لا يعقلون وأنّ العالم تقليل لا علم لنا إلا ما علمتنا، وأنّ الخائف منه لقليل إنّما يخشى الله من عباده العلماء وأنّ مابين هؤلاء الشّاكرين العاقلين العالمين الخاشين لنفسهم لتفاضل في الرّتب فماذا ترى ميثماً فيهم حقاً لا أقدر أن أقيسه بسواه من هذه الصّفوة المنتجبة لجهلي بمنازلهم ولست منهم لأعرفهم ما هم وعسى أن يساعدني التّوفيق فأحظى بالرّتب السّامية فسلني عندئذ أجبك نعم إنّ غاية عرفاني أن أجهل كنه ميثم وغاية علمي ألاّ أعلم شأوه سوى أنّي لا أجهل أنّه من ذوي الرّتب العلوية في كلّ فضيلة لعناية سيد المرسلين وسيد الوصيين بشأنه واهتمامهما بأمره ولم تظهر لهما تلك العناية إلاّ في رجال معدودة وفئة قليلة وما كانت تلك الكرامة إلا لعلو منازلهم في التّقوى وحظوتهم عند الله للخشية ولجليل مراتبهم في العلم.

أمير المؤمنين(عليه السلام) وميثم

كان شأن ميثم مع أمير المؤمنين(عليه السلام) شأن سلمان مع النّبي(صلى الله عليه وآله) كان سلمان مملوكاً لامرأة يهودية في المدينة فاشتراه الرّسول(صلى الله عليه وآله) وغالى في ثمنه، وقربه وأدناه حتّى صار من أهل البيت وحتّى صار سلمان المحمّدي وكان ميثم مملوكاً لامرأة أسدية في الكوفة فاشتراه أمير المؤمنين وأعتقه وقربه وأدناه حتّى صار من أقرب النّاس إليه وما قتله ابن زياد إلا على هذه الصّحبة وعلى الشّهرة بالولاء فقد قال له: قيل لي إنّك من أثر النّاس عند أبي تراب.

أخذ سلمان العلم عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) حتّى صار أعلم الصّحابة، ثمّ أخذ العلم من بعده عن أمير المؤمنين، وأخذ ميثم العلم عن أمير المؤمنين(عليه السلام) حتّى صار أعلم أصحابه أو من أعلمهم ثمّ أخذ العلم من بعده من ولديه الحسنين(عليهما السلام).

كان أوّل عهد سلمان بالرّسول(صلى الله عليه وآله) في المدينة وكان أوّل عهد ميثم بأمير المؤمنين في الكوفة، وكان العهد قصيراً في اجتماع سلمان بالرّسول ومثله في اجتماع ميثم بأمير المؤمنين، غير أنّ العهد في ميثم أقصر لأنّ عهد الرّسول بالمدينة عشر سنين وعهد أمير المؤمنين بالكوفة أربع والعجب إنّ هذا العهد مع قصره كيف كفى لتغذيته هذا العلم مع كثرته أجل إنّ المعدن نفيس وإنّ المعلم بصير ويكفي مع نفاسة المعدن تغذية ساعة من الرّسول ومن وصيه أولست خبيراً بما يقول أمير المؤمنين(عليه السلام): علمني رسول الله(صلى الله عليه وآله) ألف باب من العلم يفتح لي من كلّ باب ألف باب وفي رواية ألف ألف باب وكيف علمه الرّسول هذه الأبواب ساعة الموت مع قصر الزّمن وكيف قبل أمير المؤمنين هذا التّعليم مع سعة هذه الأبواب تلك صلاح التّربة وقوة التّربية.

لا ينبغي لنا أن ننكر هذه السّعة من العلم وهذه المقدرة في التّعليم وهذا القبول لهذه العلوم ما دمنا قاصرين علماً عن هذا المدى ومقصرين تعلماً وما دام المعدن منا ضعيفاً لا يقوى على تلك السّعة أصحيح أن نكذب ما نجهل ونقاوم ما لا نعلم فنكون مصداقاً لقولهم النّاس أعداء ما يجهلون.

كان أمير المؤمنين(عليه السلام) يخرج من الجامع فيجلس إلى ميثم في دكانه يحدثه وميثم بائع تمر وقد يبيع له التّمر إذا أرسله في أمر. وباع له تمراً يوماً فإذا الدّرهم بهرج[1] فقال أبو الحسن وسيجدون التّمر مراً فما لبثوا أن عادوا وهم يقولون إنّ هذا التّمر لمر فأعطاهم درهمهم[2]، فما أكبرك من إمام وما أكبرك من مأموم، إمام يجلس في السّوق إلى أحد الرّعية بل إلى أدناهم مكسباً بل ويبيع له التّمر، هذه هي الغاية القصوى في التّواضع والعناية الكبرى بأهل الإيمان والعلم، ومأموم يعتني به أمام الأمّة وسلطانها وقائدها فيجلس إليه وما هو إلا بائع تمر لا شأن يذكر له في البلد ولا قبيلة ترعى بل وكان مملوكاً له وهذا هو الحد الأقصى في شرف العلم والنّهاية العليا في كرم التّقوى، فما أكبرك وأعظمك من إمام وما أرفعك وأعلمك من مأموم عجباً كيف لا يأخذك العجب ويتداخلك الكبر والزّهو وأمير المؤمنين معلمك ومغذيك وجليسك والبائع لك ولا عجب فإنّ هذا شأن أهل الدّين ورجال الشّريعة الّذين لا هم لهم إلا إعلاء كلمة الحق وتقدير رجاله الأصفياء العاملين ولو اقتدى النّاس هذا اليوم بأمير المؤمنين في تقدير العلماء والصّلحاء لرأيت كيف يرتفع شأن العلم وكيف يكثر طالبوه وكيف يكثر فيهم أهل الصّلاح والسّداد، إنّ كلّ عمل في الكثرة والوفرة يحتاج إلى تشجيع وتنشيط وتقدير وهل رواج السّلع وكثرة إنتاجها إلا من إقبال النّاس عليها وهل بوارها وقلة إيجادها إلا من إعراض النّاس عنها ولو أقبل النّاس على أرباب العلم والصّلاح لكان من صالح النّاس أنفسهم ولو قلت إذا لم يكن الصّلاح ذاتياً كيف يحصل بالتّشجيع والتّرغيب لقلنا ليس النّاس كلّهم معصومين لا تأثير للتشجيع عليهم والوجدان برشدك إلى أنّ من ترغب نفسه بالصّلاح يسعى إليه ويتلبس به إذا وجد لصلاحه أثراً أو حرضه عليه ذو فقه وفضل وما ذاك في الصّلاح خاصة بل في كلّ فضيلة تكتسب.

---

(1) البهرج: الباطل والرّديء.

(2) بحار: محمد صلى الله عليه وآله من مناقب ابن شهراشوب.

وكان أمير المؤمنين(عليه السلام) يميز ميثماً بنفيس العلوم ويطلعه على الأسرار حتّى أنّه كان يذكر له دوماً ما يصنعه به ابن زياد من فظيع الأعمال وهو يقول: هذا في الله قليل.

وكان يصحبه أحياناً عند المناجاة في الخلوات وعند خروجه في الليل إلى الصّحراء فيستمع ميثم منه الأدعية والمناجاة[1] وهذا يدل على مزيد الاختصاص والاطلاع على الأسرار فإنّ ساعة الخلوة والمناجاة لا يصحب فيها أبو الحسن كلّ أحد ولا يقوى على الوقوف على سرها وأطوار التّعبد فيها والخضوع والخشوع إلا قوي الإيمان قوي اليقين من لا يفزع ولا يهلع وقد ينكشف فيها ما لا يحتمله ضعيف البصيرة والقلب ومن ثمّ لا نعرف من يصحب أمير المؤمنين في هاتيك السّاعة إلا أفراد نزر كميثم وكميل وأضرابهما من حملة الأسرار.

وكان الحسنان على نهج أبيهما مع ميثم في ميزته والاحتفاء به غير أنّ الاختلاف في البلد فرق بينهما ولعل إقامته في الكوفة كانت بأمر منهما لأنّ الكوفة لميثم أطوع ومنه أسمع ولولا ميثم وأشباهه ممن عرف فضل أمير المؤمنين فجد في نشره لكان لسعي أعدائه في إخفاء فضله الأثر البليغ.

أهل البيت وميثم

عرف ميثم إمامه فأطاعه كما عرف ربه ورسوله فعمل بما علم مما أوجبا فيه الطّاعة ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾، وما أطاع الإمام إلا بعد أن تولاه، ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾، فكان ميثم بعد تلك الولاية والطّاعة من أهل المعرفة بالإمام والإمامة -ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية- وبعد أن تجلت له الإمامة وعرف أهلها صار يهتف بالإمامة معلناً وما حجزت دون ذلك الهتاف آونة الموت، وكيف يحول الموت دون هذا الفرض وهل نعرف محض الإيمان إلا عند الموت ليكون المؤمن على أهبة من عرفان خالقه ونبيه وإمامه لئلا يموت على الجهل، وما إيمانه إلا الإيمان الخالص الّذي لا يشوبه ارتياب، ويقينه إلا اليقين المحض الّذي لا يخالطه شك، ومن ثمّ تجد الأئمّة بعد سيد الرّسل وأمير المؤمنين(عليه السلام) يذكرونه بماله من فضل وصلاح، ويقدرون منه تلك المعرفة وهاتيك المواقف السّامية في سبيل الدّين، وذلك الجهاد في الحق.

فهذا الحسين(عليه السلام) كما تقول أمّ سلمة لميثم: ما زال يذكرك[2] وهذه الذّكرى الدّائمة من الإمام تكشف لك عن كبر شأن المذكور لديهم وعلو مقامه في الصّلاح والعرفان.

(1) بحار: ٤٢/١٠٧.

(2) رجال الكشي.

وهذا الباقر(عليه السلام) يقول: إنّي لأحبه حباً شديداً[3] ما أكبر هذا المقام إنّ الإمام لا يحب أحداً إلا في الله ولا يحبه إلا وله المنزلة العليا عند الله وهذا الصّادق(عليه السلام) يترحم عليه ويذكره مكبراً لمقامه، وهل يترحم الإمام مبتدئاً على أحد إلا إذا كان من أهل الإيمان الثّابت والعلم الرّفيع فهذا شأن ميثم عند الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) كما كان شأنهم لديه بتلك المنزلة العليا حتّى وطن نفسه على القتل والصّلب من أجل ولائه لهم ورفضه للبراءة من أبي تراب(عليه السلام).

ما أعز التّلميذ

إنّ المرء يحب نفسه ومن حبه للنفس حبه لأن يعرف النّاس علمه ومعارفه نعم ربما كان ذلك الحب في أفذاذ من النّاس حباً للدين وحباً لصلاح البشر، وإنّ التلميذ مثال الأستاذ في علمه بل وكثيراً ما يكون مثاله في أخلاقه ومكارمه، فالأستاذ يرى في التّلميذ حياته الرّوحية والعلمية ومظهر فضله وفضائله.

فأمير المؤمنين كان يحب ميثماً حباً جماً، وكيف لا يحبه وهو مثاله في علمه وهديه وسمته وكيف لا يحبه ومثله القدوة في الصّلاح وفاضل الأخلاق وكيف لا يحبه وبه وبأمثاله تقوم الحجة ويسمو الدّين وتحيى الشّريعة، وكيف لا يحبه وهو خريج مدرسته وحامل علومه وأسراره الّتي لا يحتملها إلا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وأين مثل ميثم، ولو كان في النّاس أمثاله لكثر الصّلاح وتوفرت السّعادة، وأتى للناس بمثل هذه الحظوة.

قيمة كلّ امرئ ما يحسنه

هذه كلمة غالية نفيسة كشف بها عن الحقيقة سيد البلغاء والحكماء أمير المؤمنين(عليه السلام)، وما أكثر نفائس حكمه، وما أكثر جلائل تعاليمه لو كان ثمة سامع واع، وإنّ أمير المؤمنين أوّل النّاس وقبل النّاس في تطبيق الفضائل والأحكام في الإسلام على نفسه وهل يا ترى يقول ذلك فلا يعمل به فلا يرى لأهل الفضل قيمة على قدر ما يحسنون أو يحترم سواهم وإن لم يكونوا من ذوي العلم والصّلاح وما الّذي أبعد عنه من يبتغون أن يكال لهم المعروف جزافاً لأنّهم زعماء وجهاء إلا عدم التّقدير منه لهم إلا بقدر معارفهم وبقدر صلاحهم ومن الّذي يرضى بالعدل والحق له وعليه.

فما كان تقدير أمير المؤمنين(عليه السلام) لميثم إلا لمكانته العلمية ومعارفه الإلهية وتقواه منه جل شأنه، ولعلك تقول لماذا كلّ هذا التّقدير منه لميثم وميثم مولاه وصنيعته وتلميذه،

(3) خلاصة العلامة في صالح بن ميثم.

وما كان عنده إلا منه، وهو الّذي بذر ذلك النّفيس في قرارة نفسه، فأقول لك ما أعز التّلميذ لما به من المثالية للأستاذ المربي، ولكن ليس ذلك في أمير المؤمنين للتربية والظّهور، بل للدين وصلاح المجتمع، وهداية الأمّة، ولو لم يكن في الأمة مثل ميثم يأخذ عنه العلم النّافع، والخلق السّامي فمتى يظهر ما عنده مما فيه الإصلاح والإرشاد، أليس العلم يحتاج إلى وعاء أليس الإصلاح يحتاج إلى قابل؟

ولو لم يحترم أمير المؤمنين رجال الهدى والعلم والتّقى والصّلاح وإن أخذوا عنه وتربوا على يديه فمن يحترمهم من النّاس ويعرف أقدارهم ومقاديرهم.

وقد علمت كيف كان أمير المؤمنين(عليه السلام) يقيم وزناً ويعلي شأناً لميثم، وما ميثم إلا عبد امتلكه أبو الحسن فأعتقه وما قيمة العبد العتيق ولكن تلك قيمة ما يحسنه.

بلغ من إكرامه واحترامه له أن يجلس إليه في السّوق والنّاس ذاهبة آيبة تراه وتنظر إليه، وهو في دكانه يسامره ويحادثه، ويلقي عليه دروساً ويميزه من العلم الإلهي ما أكبر العلم وأهله وأكرم الدّين ورجاله عندك يا أبا الحسن وأصغرك عندهما وعندهم حتّى كأنّك واحد منهم وتجاريهم حتّى تساويهم في الجلسة والمكان وتواسيهم في كلّ شيء ولا عجب فإنّ قيمة كلّ امرئ لديك ما يحسنه لا ما يملكه من مال أو جاه.

العلم

إنّ الّذي يرفع المرء عند الله عز شأنه وعند أهل الإيمان هو علم الدّين وها هو الكتاب يصدح بفضلهم، وبرفيع درجاتهم لديه تعالى، وبخشيتهم منه سبحانه ولا شك إنّ التّفاضل في درجاتهم على حسب التّفاضل في نصيبهم من العلم.

والّذي رفع الدّرجة من ميثم وفرة علمه في الدّين والشّريعة، وعرفانه بالله تعالى، وعمله بعلمه ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾، وما كانت تلك الوفرة لديه من العلم واكتسابها من أمير المؤمنين على قصر الزّمن إلا لنفاسة المعدن، وصلاح التّربة، حديثنا صعب مستصعب، فأي معدن كان معدنك يا أبا سالم، وأي قلب كان قلبك حين خرج ظافراً بالامتحان.

إنّ العلم ووفرته على قدر الجد والذّكاء في المرء، ولكن علم الدّين ووفرته بعد الجد والذّكاء على قدر إيمان المرء وخشيته من الله تعالى، العلم نور يقذفه الله في جوف من يشاء ولا يكون العلم نوراً إلا إذا كان علم الدّين فإذا بلغ المرء مرتبة الامتحان في الإيمان وخرج ناجحاً بعد الامتحان وظفر بالأستاذ المربي كأبي الحسن(عليه السلام) فهنالك العلم المقذوف وهنالك النّور المزجوج وعلى قدر إيمانه وامتحان قلبه يكون علمه وعرفانه فإذا استطعت أن تزن إيمان ميثم فزن علمه فعلم من امتحنه الله تعالى عندئذ قذف وزج لا اكتساب وتحصيل لأنّها رتبة فوق الجد والاكتساب.

ما أقصر زمن الصّحبة من ميثم لأبي الحسن(عليه السلام)، فكيف بلغ به تلك الدّرجة من العلم، وهل يستطيع أن يحصل على تلك العلوم المفاضة والفياضة في ذلك الزّمن القصير لو كانت علومه بالتّحصيل والكسب وكفى في منزلته العليا في العلم ما يرويه ابنه صالح قال: قلت لأبي جعفر(عليه السلام) حدثني، فقال(عليه السلام): أما سمعت الحديث من أبيك، قلت: لا كنت صغيراً، فكأن الباقر(عليه السلام) يرمز إلى أنّ ميثماً قد احتمل من علم أمير المؤمنين(عليه السلام) ما يغني ابنه لو روى عنه من ذلك العلم.

علم المنايا والبلايا

إنّ الله تعالى يقول في كتابه المجيد: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾، وإنّ علم الكتاب كلّه كان عند الأئمّة من أهل البيت، إنّي تاركٌ فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فكانوا قرناء الكتاب وعلماءه، فأهل البيت إذن علماء بكلّ شيء، فهل يوزن عندئذ علمهم بميزان أو يحد بحد ما كان علم أهل البيت المفاض عليهم من العلاّم جلّ شأنه إلا رحمة للناس، وصلاحاً للعالم وما وجدوا معدناً صالحاً إلا بذروا فيه من ذلك العلم، لو وجدنا أوعية لقلنا، فكان ميثم من تلك الأوعية الحفاظة فلذلك استودعه أبو الحسن شيئاً من نفيس العلم وعلم الأسرار ومن ذلك علم المنايا والبلايا، أي علم الآجال وعلم الحوادث والوقائع الّتي يبتلى بها النّاس وهذا العلم قد يأتمن عليه أبو الحسن بعض الأفذاذ من رجاله، فتجد منه شيئاً عند رشيد الهجري وحبيب بن مظاهر ومحمّد بن أبي بكر وأويس القرني وعمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي وكميل بن زياد، وأشباههم من أهل القلوب الممتحنة للإيمان.

فكان ميثم من هؤلاء المؤتمنين على سر هذا العلم، فتجده يعلم من يقتله وزمن قتله وكيفية قتله ولو لم يكن وعاءً صالحاً لحفظ هذه الأمانة لم يستأمنه عليه أمير المؤمنين(عليه السلام).

وما كان عالماً بما يجري عليه من بلية ومنية فحسب بل كان يعلم بما يجري على غيره من هذا الشّأن فقد التقى يوماً بحبيب بن مظاهر عند مجلس بني أسد فتحدثا حتّى اختلفت أعناق فرسيهما ويا ليتنا شهدنا ذلك الحديث لنستفيد منه العلم الجم وفيما قاله له حبيب كأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرّزق قد صلب في حب أهل بيت نبيه(صلى الله عليه وآله) ويبقر بطنه على الخشبة فقال ميثم: وإنّي لأعرف رجلاً أحمر له ظفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيه فيقتل ويجال برأسه في الكوفة ثمّ افترقا، وضحك منهما من كان حاضراً استهزاءً وسخرية وقالوا: ما رأينا أكذب من هذين ولم يفترق أهل المجلس حتّى أقبل رشيد الهجري يسأل عنهما

فقيل له أنّهما افترقا وكان من أمرهما كذا وكذا فقال رشيد رحم الله ميثماً لقد نسي أنّه يزاد في عطاء الّذي يجيء بالرّأس مائة درهم فقال الحاضرون: هذا والله أكذبهم فما ذهبت الليالي حتّى وقع كلّ ذلك[1].

ما أجهل النّاس وما أنكرهم للعلم إنّ النّاس لتعلم بأنّ هؤلاء النّفر كانوا من خواص أمير المؤمنين(عليه السلام) وحملة علومه ويعلمون بأنّهم صفوة المصر في العلوم والمعارف والفضائل فماذا حدا بهم للإنكار عليهم والتّسرع في تكذيبهم والاستهزاء بهم فما يدري المرء من أيهما يعجب؟ أمن احتمال هؤلاء لهذا العلم الغامض الّذي لا يحتمله إلا الأنبياء والملائكة والمؤمنون الممتحنة قلوبهم أم من تسرع أولئك النّاس لتكذيبهم ولا عجب فإنّ الله لا بد وأن يجعل في عباده عدا الأنبياء والأوصياء من يكون في فعاله وخصاله قدوة للناس وحجة عليهم ولا بد من أن يكون في النّاس من ينكر مثل هذا العلم لأنّ النّاس أعداء ما يجهلون فما أعلم هؤلاء وما أجهل النّاس.

وأخبر ميثم أمير المؤمنين(عليه السلام) يوماً بما يجري عليه وذلك أنّه دخل على أمير المؤمنين(عليه السلام) فوجده نائماً فنادى بأعلى صوته انتبه أيّها النّائم فوالله لتخضبن لحيتك من رأسك[2].

إنّ ميثماً لا يريد بهذا أن يعلم أمير المؤمنين بما لم يعلم وهل أخذ هذا العلم إلا منه وإنما يريد أن يعرف النّاس ما يجري على أمير المؤمنين ويعرف النّاس ما عند ميثم من العلم لينتفعوا بعلمه ويستفيدوا من تعاليمه ومتى يعرفون منزلته العلمية إذا لم يظهر عليه مثل هذا العلم وكان ميثم والمختار في جمع من الشّيعة بعد مقتل مسلم[3] في حبس ابن زياد فأخبر ميثم المختار بأنّه سيفلت ويخرج من الحبس ويقتل ذلك الجبار ابن زياد الّذين هما في حبسه ويطأ بقدمه على جبهته وخديه فلما أراد ابن زياد قتل المختار وقد أخرجه للقتل جاء البريد من يزيد بإطلاقه فخلاه فما مضت الأيّام إلا وكان كلّ ما أخبر به ميثم[4].

وقال صالح بن ميثم أخبرني أبو خالد التّمار قال كنت مع ميثم التّمار بالفرات يوم الجمعة فهبت ريح وهو في سفينة، قال فخرج ونظر إلى الرّيح فقال شدوا سفينتكم إنّ هذا الرّيح عاصف مات معاوية السّاعة قال فلما كانت الجمعة المقبلة قدم بريد من الشّام فلقيته فاستخرجته، فقلت: يا عبد الله ما الخبر، قال: النّاس على أحسن حال توفي أمير المؤمنين، وبايع النّاس يزيد، قال قلت: أي يوم توفي، قال: يوم الجمعة، ولا نستغرب هذا العلم من ميثم بعد أن قرأنا عنه أمثاله، وبعد أن عرفنا أنّ أبا الحسن(عليه السلام) استودعه غامض العلم وقال يوماً لحكيم الصّيرفي أبي سدير: يا حكيم ترى هذا المكان ليس يؤدى فيه طسق[5] والطّسق أداء الأجر ولئن طالت بك الحياة لتؤدي طسق هذا المكان إلى رجل في دار الوليد بن عتبة يقال له زرارة، قال: فأديته على خزي إلى رجل في دار الوليد بن عتبة يقال له زرارة.

هذا بعض ما فاه به ميثم من الإعلام عن المنايا والبلايا، فكم أخبر عن تلك الوقائع والآجال، وكم كان صدره يسع منها، وستقرأ شيئاً منها غير ما سبق في طي ما سنذكره من حياته.

ولا أراك إلا مستغرباً من هذا العلم لميثم بل وعساك أن تستغربه لأستاذه ومثقفه أمير المؤمنين(عليه السلام)، وكأنّك تنسى أنّ الإمام أعلم النّاس بالكتاب وكأنّك تنسى أنّ الكتاب نزل تبياناً لكلّ شيء وكأنّك تنسى أنّ العالم بالكتاب الحاوي لبيان كلّ شيء يكون عالماً بكلّ شيء وكأنّك تنسى أنّ أبا الحسن إذا وجد وعاءاً صالحاً لاستيداعه شيئاً من علومه أودعه إيّاه لينتشر في النّاس العلم الصحيح.

وهذا ميثم نفسه وقد وضع على خشبة الصّلب يقول رافعاً لنا صوته ومن أصدق من ميثم: أيّها النّاس من أراد أن يسمع الحديث المكنون عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) قبل أن أقتل فوالله لأخبرنكم بعلم ما يكون إلى أن تقوم السّاعة، وما يكون من الفتن.

فما هذا الحديث المكنون وعلم ما يكون أليس ذلك أوسع علماً من المنايا والبلايا، وأحسبك كلما استغربت شيئاً من علم ميثم جاءك بما هو أغرب وأعجب.

علم التّفسير

قال عز من قائل في سورة آل عمران ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾، فهذه الآية البينة نبهت الغافل إلى

(1) رجال الكشي.
(2) رجال الكشي.
(3) مثير الأحزان لابن نما.
(4) شرح النّهج الحديدي: صلى الله عليه وآله وسلم والإصابة: صلى الله عليه وآله وسلم.

(5) قال في القاموس: الطّسق بالفتح مكيال أو ما يوضع من الخراج على الجربان أو شبه ضريبة معلومة وكأنّه مولد أو معرب.

أمرين جليلين، رفعت فيهما اللبس وأنارت بهما الحجة وعرفت النّاس أهل الهدى من أرباب الزّيغ.

أحد الأمرين أنّ في الكتاب المبين آيات متشابهة وأنّ أرباب الزّيغ الّذين يريدون الفتنة وتأويل الكتاب على غير ما جاء في تنزيله يتبعون تلك الآيات المتشابهة لتينك الغايتين من الفتنة والتّأويل.

الثّاني أنّ التّأويل لا يصلح له كلّ أحد وإنما العليم به هو الله جل وعلا والّذين نزل الكتاب في بيوتهم وأخذوا علمه عن الله سبحانه وهم الرّاسخون في العلم بناء على عطف -الرّاسخون- على لفظ الجلالة كما عليه أهل الفضيلة والعرفان وهؤلاء الرّاسخون في العلم هم المرجع في التّأويل في التّمييز بين المحكم والمتشابه وهذا كلّه ليخرج به العليم تعالى أولئك أرباب الزّيغ الّذين يريدون الفتنة والإضلال وقد نبه الرّسول(صلى الله عليه وآله) على أولئك العلماء بالتّأويل الرّاسخ علمهم لئلا يدعي علمه كلّ ناعق بضلالة من بعد انقلابه إلى ربه، فقال(صلى الله عليه وآله) إنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، وقد توقفت بحمد الله فكتبت بياناً لهذا الحديث من عهد قريب كشفت فيه عما يفيده هذا الحديث من معنى، ومما دل عليه هذا الحديث الشّريف أنّ أهل البيت خلفاء الرّسول(صلى الله عليه وآله) وقرناء الكتاب والعلماء به وعلماء بكلّ شيء وبقاؤهم عمر الدّنيا وإنّهم هداة طول الأبد إلى غير ذلك مما ذكرناه في تلك الرّسالة -الثّقلان الكتاب والعترة- فأهل التّأويل الّذين هم علي وبنوه الأئمّة الأحد عشر هم الّذين عندهم علم الكتاب، فما علمهم إلا عن الرّسول عن الله تعالى وما علم النّاس إلا عن النّاس، وعلى قدر التّفاضل بين المصدرين يكون التّفاضل بين العلمين.

وإنّ ميثماً كان عالماً بالتّفسير وأخذ هذا العلم عن أمير المؤمنين(عليه السلام) فما أنفس علمه وما أصدق تأويله، قال ميثم لابن عبّاس وقد اجتمع به في المدينة: يا بن عبّاس سل ما شئت من تفسير القرآن فإنّي قرأت تنزيله على أمير المؤمنين(عليه السلام) فعلمني تأويله فما أرفعه، مقاماً وأوسعها خزانة تسع التّأويل الحق للتنزيل كلّه، التّأويل الّذي يمليه عن حفظ ووعي.

الثّاني: إنّ العلم الّذي كان عند ميثم لم يكن عند ابن عبّاس، ومن ثمّ كتب عنه ابن عبّاس ولو كان ما أملاه عليه عنده لم يروه عنه، ومن هنا تعرف الفرق بين الرّجلين والتّفاضل بين العلمين والمنزلتين على أنّ ابن عبّاس تلميذ أمير المؤمنين والآخذ منه.

الثّالث: إنّ ميثماً كان بمنزلة رفيعة من التعلم والصّلاح لأنّ ابن عبّاس كتب عنه من دون تريث وتروٍ، ولو لم يكن بتلك المنزلة الّتي لا يشك معها في قوله لما استرسل ابن عبّاس في الأخذ عنه.

الرّابع: إنّ ابن عبّاس كان عارياً من علم المنايا والبلايا ولذا أنكر على ميثم هذا الإخبار وعده من الكهانة فكان حال ابن عبّاس حال أولئك الأسديين الّذين أنكروا على ميثم وحبيب ورشيد، على أنّ ابن عبّاس شاهد وسمع من أبي الحسن أمثال تلك الأسرار الغامضة والإعلامات عن الكائنات ولكن من هذا نعرف أنّه لم يقو على احتمال تلك العلوم ولذلك لم يستودعه أبو الحسن شيئاً منها ولا ادعاها ابن عبّاس ولا ظهرت عليه فمن أنت يا ميثم، وما منزلتك لو قسناك بالأماثل العظام كابن عبّاس وما منزلة ابن عبّاس وسواه لو قسناهم بك.

الحديث الصّعب المستصعب

جاء الحديث عن رسول الله وعن أهل بيته عليه وعليهم السّلام إنّ حديثهم صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ولا عجب فإنّهم يحملون من الحديث فنوناً وشجوناً وأي امرئ يقوى على احتمال الغرائب والعجائب ويسلم في كلّ ما يطرق سمعه وإن أبهره، ولا يعارض في كلّ ما يسمعه وإن استغربه أو ما قرأت أو سمعت ما كان من سخرية النّاس بحبيب ورشيد وميثم وتكذيبهم لهم لما سمعوا منهم شيئاً من مكنون العلم على أنّهم يعلمون بأنّ هؤلاء الفئة جديرون باحتمال هذا العلم المكنون وما ذاك إلا لأنّ مدارك النّاس ومعارفهم لا تقوى على احتمال هذا العلم فينكرونه من سواهم، بل إنّ ابن عبّاس وهو من أصحاب أبي الحسن وتلامذته أنكر على ميثم هذا العلم، وما هو إلا لخلوه من هذا العلم وما هو عنه ولا عن متبعه ببعيد وما ونستفيد من هذا الحديث أموراً:

الأوّل: أنّ ميثماً كان عالماً بتأويل القرآن كلّه، لقوله: يا بن عبّاس سل ما شئت من تفسير القرآن، فإنّي قرأت تنزيله على أمير المؤمنين(عليه السلام) فعلمني تأويله فما أرفعه، مقاماً وأوسعها خزانة تسع التّأويل الحق للتنزيل كلّه، التّأويل الّذي يمليه عن حفظ ووعي.

(1) بكسر الميم وفتحها الإناء والبيت الّذي يتطهر به وأراد منها ههنا الأرض لأنّها يتطهر بها.

(2) رجال الكشي: ص.

زال النّاس حتّى اليوم يستعظمون أن يكون أبو الحسن نفسه عالماً بالحوادث والوقائع قبل أن تقع، ولا أدري لأي شيء تجعل النّاس أنفسهم مقياساً للعلوم، فمن وجد نفسه عارياً من علم أنكره على سواه، ولا عجب فإنّها سجية ما زال البشر عليها من البدء حتّى اليوم.

إنّ ميثماً احتمل الشّيء الكثير من علم البلايا والمنايا ومما سبق عرفت هذا الاحتمال فهو إذن ممن احتمل الحديث الصّعب المستصعب وهو إذن من المؤمنين الّذين امتحن الله قلوبهم للإيمان وكفاه هذا فضلاً وفخراً.

يقول صالح بن ميثم حدثني أبي قال: بينا أنا في السّوق إذ أتاني الأصبغ بن نباته، فقال لي ويحك يا ميثم لقد سمعت أمير المؤمنين(عليه السلام) يقول: إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، قال: فقمت من فوري وأتيت أمير المؤمنين وقلت جعلت فداك حديث عنك أخبر به الأصبغ ضقت به ذرعاً قال فما هو فأخبرته به، قال اجلس يا ميثم أوكل علم العلماء يحتمل قال تعالى لملائكته: ﴿**إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ**﴾، فهل رأيت الملائكة احتملوا العلم فقلت هذا والله أعظم من تلك، وقال(عليه السلام) والأخرى عن موسى أنزل الله عليه التّوراة فظن ألا أحد أعلم منه فأخبره الله تعالى بأنّ في خلقه من هو أعظم منك، وذلك إذ خاف على نبيه العجب فدعا ربه أن يرشده إلى العالم فجمع الله بينه وبين الخضر(عليه السلام) فخرق السّفينة فلم يحتمل ذلك موسى وقتل الغلام فلم يحتمله وأقام الجدار فلم يحتمله وأما المؤمن فنبينا محمّد(صلى الله عليه وآله) أخذ بيد علي يوم الغدير وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه فهل رأيت المؤمنين احتملوا ذلك إلا من عصمة الله إلا فابشروا ثمّ ابشروا ثمّ ابشروا، إنّ الله قد خصكم بما لم يخص به الملائكة والنّبيين والمؤمنين بما احتملتم من أمر رسول الله(صلى الله عليه وآله) [1].

فجدير بنا أن نوالي الشّكر دوماً لله تعالى على هذه النّعمة الجزيلة الّتي خصنا بها الكريم سبحانه من التّسليم لسيد الرّسل(صلى الله عليه وآله) في أمر وصيّه وخليفته أبي الحسن، وفيما جاء عنه وعن أهل بيته من علم وحديث.

فهذا الحديث فصيح في أنّ ميثماً كان من حملة الحديث الصّعب المستصعب وما نجده من أخباره وآثاره صورة مثالية لذلك الحديث الصّعب المحتمل.

ولا أخال أنّ احتمال حديثهم إلا التّسليم بما يقولونه في كلّ شأن بعد العلم بأنّهم لا يقولون إلا عن الرّسول عن جبرائيل عن الجليل تعالى وما ميثم إلا ذلك المسلم المستسلم للقضاء، المستودع من علمهم ما دق وصعب.

البصيرة

قد تكون بصيرة ولا علم، وقد يكون علم ولا بصيرة، وقد يكونان معاً فما أنفس ذلك المعدن إذن فأمّا البصيرة بلا علم فنور قليل الإشعاع أو شجر قليل الأثمار والأفراع وأمّا العلم بلا بصيرة فكالحمار يحمل أسفاراً وأمّا إذا اجتمعا معاً فهناك النّور السّاطع، وهناك الرّي النّاقع للغلة وهناك الدّواء النّاجع للعلة، ويسمو المرء بهما على قدر مكانته منهما فقد يبلغان به منازل الملائكة المقربين.

أجل قد يكون العلم أداة البصيرة، وقد تكون البصيرة ذريعة للعلم ويندر ذلك في الأوّل دون الثّاني، إذ ما أكثر العلماء الضّلال وأندر الضّلالة في ذوي البصائر، فإنّه قد يكون العالم بلا بصيرة فلا ينفعه علمه في إخراجه من ظلمات الضّلال، وقد يكون المتبصر بلا علم فيخرجه البصر من مهاوي الجهالة ومفاوز الضّلالة.

وهل جر ميثماً إلى العلم الغمر إلا بصيرته، وإلا تلك النّفاسة المعدنية ولعل البصر من ثمار التّربة الصّالحة والبلد الطّيب الّذي يخرج نباته بإذن ربه.

إنّ العلم يحتاج إلى إناء ذي سعة فإذا كان الإناء واسعاً حفظ ما يلقى فيه من العلم وارتفع بذلك شأن ذي الإناء، وإذا كان العلم أوسع من الظّرف أو الظّرف أوسع من العلم لم يحظ بتلك الرّتبة العلية بل ربما كان وبالاً عليه إذا كان العلم أوسع من إنائه.

وإنّ الّذي حفز بميثم حتّى جعله يرتقي تلك الذّرى العلوية هو البصيرة وسعة الإناء ونفاسة المعدن، فكان يسع صدره ويعي قلبه لكلّ ما يلقى إليه فمن هنا تجده وعاءً لعلم المنايا والبلايا ولعلم التّفسير ولعلم الكائنات على قلة الزّمن الّذي حظى فيه بصحبة أبي الحسن وكم من إناس طابت معادنهم وطالت صحبتهم فلم يحظوا من أبي الحسن بتلك النّفاسة من العلم وتلك الفيوضات من المعارف وما ذاك إلا أنّه ليس لديهم تلك البصائر، ولا تسع صدورهم غريب تلك الوقائع فما أنفسك يا ميثم معدناً، وما أمضاك بصيرة، وما أوفرك علماً.

صلابة الإيمان

لا تعرف منزلة المرء من الإيمان، ومكانته من الثّبات إلا بعد الافتتان والامتحان، والتّصفية والتّمحيص ولا تنفع الدّعوى قبل الاختبار والاعتبار، ﴿**الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**﴾، ولكن إذا سقط النّاس في الغربال

(1) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى مخطوط، وتفسير فرات مخطوط.

وجاءتهم الفتن والمحن، فمن يا ترى يبقى في الغربال ويثبت بعد الفتنة والمحنة، وإذا محص النّاس بالبلاء قل الدّيانون، وإذا زلزلوا بالفتن فأين الثّابتون.

إنّ النّاس عبيد الدّنيا والدّين لعق على ألسنتهم، وإن كان الدّين خيراً لهم حتّى في دنياهم، لأنّ به البقاء على أنفس ما في الحياة الأنفس والأعراض والأموال، غير أنّهم ينظرون إليها بالأبصار لا بالبصائر ولذاك تجدهم عند الفتنة أبناء هذه العاجلة، بل أبناء هذه السّاعة، بل أعداء أنفسهم لو كانوا يعقلون، أنّهم يحسبون أنّ بالتّعلق بأذيال هذه الدّنيا وأبنائها نجاة من الهلكة العاجلة، أفلا يعلمون بأنّهم إنّما يقعون بالتّهلكة الحاضرة وإنّ النّجاة بالقبض على حجزة أهل الدّين، إنّ بالدّين حفظ النّفوس والنّفائس وبنبذه تعريضاً لها بالوقوع في حبائل الظّلم والعدوان أليس النّاس إذن في التّخلي عن الدّين والقبض على الدّنيا أعداء أنفسهم ونفيسهم من العَرض والعِرض.

ومن هنا تعرف مكانة ميثم من الإيمان ومنزلته من الثّبات فإنّه حين أخبره أمير المؤمنين(عليه السلام) بما يجري عليه من فظائع الوقائع قال: اصبر أنّه في الله قليل وقال له أمير المؤمنين(عليه السلام) يوماً: إنّك تموت مصلوباً، فقال ميثم يا مولاي وأنا على فطرة الإسلام؟ قال: نعم فميثم لم يحفل بالصّلب وإنما حفل بالعقبى.

هذا كلّه قبل الفتنة والمحنة ولا يكشف ذلك عن صدقه في الإيمان والثّبات قبل أن تلتقي عليه حلقتا البطان ويقع بين لحيي اللهذم، نعم عند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

جيء بميثم للصلب وكان بوسعه أن يهرب منه بمجاراة القوم على ما يحبون كما يتقلب أبناء الزّمان مع الزّمان ويداري النّاس أرباب السّلطان ولكن ميثماً تجلى إيمانه وظهرت نفسيته في ذلك الموقف وهو فيه بين الممات والحياة فاختار الفناء على الإيمان دون البقاء على النّفاق فتراه لا يلين في قول ولا يخضع في خطاب بل يصم ابن مرجانة بنصول سهامه ويصيب مقاتله بنبال كلامه ولكن من أين يخجل أو يكف احتساباً وهو ابن مرجانة فيقول ميثم لابن مرجانة غير هياب لسلطانه ولا خائف من بطشه قال لي أمير المؤمنين(عليه السلام) يأخذك العتل الزّنيم ابن الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد ويقول وهو مصلوب وقد أرادوا قطع لسانه ألا زعم ابن الفاجرة أن يكذبني ويكذب مولاي.

ويقول لابن مرجانة وقد سأله أين ربك: إنّه بالمرصاد لكلّ ظالم وأنت منهم.

أليس هذا كلّه من صلابة الإيمان وبرد اليقين، هكذا فلتكن صلابة الإيمان، والصّبر احتساباً ساعة الافتتان، فسلام الله عليك يا ميثم ما كرّ الجديدان.

قوّة الجنّان

قد تكون قوة الجنان من قوّة الإيمان، فإنّ من كبر الله تعالى في عينيه صغر من عداه لديه، ومن استعظم العقاب يوم الحساب واستيقن يوم الجزاء بالثّوب هان عليه ما يلاقيه من نوازل البلاء في دار الفناء ظهرت هذه الخلال الكريمة على ميثم يوم عرضه ابن زياد للصّلب، إنّ ابن زياد سفاك فتاك، شهوته إراقة الدّماء لاسيّما من العترة الطّاهرة وممن يمت إليهم بولاء، فهل يا ترى ماذا يكفه عن ميثم تلميذ أمير المؤمنين ورافع العلم في الولاء وناشر فضائله وكراماته نعم إلا تبريه من المرتضى، وكيف يبرأ منه صادق الإيمان قوي الجنان وقد نهى عن البراءة منه أمير المؤمنين نفسه حيث قال: أمّا السّب فسبوني فإنّه لي زكاة ولكم نجاة وإمّا البراءة فلا تتبرأوا مني فإنّي ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة.

عرضه ابن مرجانة على البراءة من أبي الحسن فأبى عليه وهل بعد ذلك إلا تنفيذ شهوته فيه، وهل عند ابن زياد غير القتل والصّلب، فكأنّما حين يساق العبد الصّالح إلى الموت قد سبق إلى معانقة الحور في الجنان، فما أقواك من جنان، يهدده ابن زياد بالقتل وتقطيع الأوصال، وهو يلاقيه بقاطع اللّسان، وصارم المقال فما أقواك من جنان وما أقواك من إيمان وهل ذلك إلا من عظم البارئ تعالى في عينه وقلبه فمن ابن مرجانة وما ذلك إلا ليقينه بجميل الجزاء في يوم البقاء فما البلاء في أيّام الفنا.

يقول له ابن مرجانة لتبرأنّ من علي بن أبي طالب وتذكرنّ مساويه أو لأقطعنّ يديك ورجليك واصلبنك، فيقول له ميثم لقد أخبرني بذلك مولاي أمير المؤمنين، فقلت له ومن يفعل بي ذلك يا أمير المؤمنين فقال يأخذك العتل الزّنيم ابن الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد وما هذه الجرأة في الجواب والأغلاظ في الخطاب وطعنه لابن زياد بالمقابل وكشفه عن عوراته إلا لقوّة جنانه النّاشئة عن قوّة إيمانه.

ومازال ميثم يذكر النّاس بالله ويفضل أمير المؤمنين وأهل البيت وينشر لهم مخازي أعدائهم وهو قائم على الجذع، وأين الإنسان ساعة الرّهبة والرّعب من هذا التّذكير والتّعبير، بلى، إنّ المؤمن لا يرهبه الموت كيفما كان فإنّ رهبة الله في قلبه أعظم، إنّما يرى الموت جسراً من دار الفناء إلى دار البقاء ومن البؤس إلى النّعيم ومن الشّقاء إلى الهناء ومن الضّراء إلى السّراء فكيف يرهبه الموت بل كيف لا يراه لذة وغبطة لو أراد ميثم أن يدفع عنه هذا البلاء النّازل لاستطاع كما قال له ذلك الرّجل الّذي مروا بميثم عليه يراد به الصّلب، لقد كنت عن هذا غنياً ولكنّ قوّة الإيمان تدفعه إلى أن ينطق بالحق ويعلي منار الدّين ولولا ابن مرجانة وفعاله بميثم وأضرابه لما عرف النّاس باطل بني أمية وحق بني علي، غير أنّ ذلك يريد من الإنسان قوّة في الجنان، وصلابة في الإيمان فأعود

قائلاً: ما أقواك يا ميثم في الجنان وما أصلبك في الإيمان، فعليك من الله الرّحمة والرّضوان.

اليقين

أخبر أمير المؤمنين(عليه السلام) ميثماً بأنّه يؤخذ من بعده ويصلب على جذع نخلة وجاء به إلى النّخلة فأراه إياها وكان يخرج إلى الكناسة وميثم معه فيمر بالنّخلة فيقول له يا ميثم إنّ لك ولها لشاناً من الشّان، فكان ميثم يأتي إليها ويصلّى عندها ويقول: بوركت من نخلة لك خلقت ولي غذيت ويقول طوراً: يا نخلة ما غذيت إلا لك، وما غذيت إلا لي ومروا به على رجل في طريقه إلى الصّلب، فقال له: لقد كنت عن هذا غنياً فالتفت إليه ميثم مبتسماً وهو يؤي إلى النّخلة وقال: والله ما نبتت هذه النّخلة إلا لي ولا اغتذيت إلا لها ومازال ميثم يتعاهدها حتّى قطعها عبيد الله بن زياد، وذلك أنّه لما ولي الكوفة ودخلها تعلق علمه بالنّخلة الّتي بالكناسة فتخرق فتطير من ذلك فأمر بقطعها فاشتراها رجل من النّجارين فشقها أربع قطع، فقال ميثم لولده صالح خذ مسماراً من حديد فانقش عليه اسمي واسم أبي ودقه في بعض تلك الأجذاع فلما صلبه ابن مرجانة قال صالح مضيت بعد ذلك بأيام فإذا هو قد صلب على الرّبع الّذي كنت دققت فيه المسمار.

أنّ أمير المؤمنين كان قد أخبره بأنّ النّخلة تقسم أرباعاً وهو يصلب على ربع منها ولعلّ أبا الحسن شخص له ذلك الرّبع أو أنّ معرفة ميثم به كانت من العلم المستودع عنده.

وماذا بلغ بميثم حتّى جعله على هذا الثّبات وطمانينة الجاش إنّ الإنسان ليفزع من الموت فكيف إذا عرف أو أنّه ومكانه ومن يفعل به ذلك الفعل الفظيع، امرؤ يعرف أنّ هذا الجذع يصلب عليه فيتعاهده ويصلي عنده ويخاطبه ببديع الخطاب أليس ذلك من اليقين بالله والوثوق من دينه ومن حسن المنقلب أليس من الجدير بنا أن نقول ما أفضل اليقين، وأفضل أهل اليقين.

زاهد قوّام صوّام

من يعرف لميثم تلك المنزلة من العلم وذلك اليقين والإيمان لا يستكبر منه أن يكون زاهداً في هذه الحياة أنّ المرء قد يزهد في الشّيء النّفيس لأنفس منه، فكيف إذا رآه بخساً تعيساً إنّ أولي المعرفة الّذين لا تمنع الحجب أعينهم عن النّظر إلى الحقائق لا يرون للدّنيا قيمة وإن وجدها سواهم حسناء فتانة لأنّ أولئك العارفين يجدونها دار معصية لله وتجاوز على حريمه ويرون فيها المنكر جهراً والظّلم والجور علنا على أنّ ما وراءها أجمل منها وأفتن وأنّ من يفارق أبا الحسن ويبتلي براع مثل معاوية ومن يشاهد الحسين في زاوية ولا ينتفع النّاس بهديه وعلمه ويرى النّاس قد أحاطوا بيزيد الخمور والفجور والقرود والفهود ومن يرى الأبرار من شيعة أهل البيت تقتل تحت كلّ حجر ومدر ويستحيي من النّاس أهل الضّلالة والجهالة والسّفالة والنّذالة كيف يرغب في هذه الدّنيا ويجد فيها أمانيه ولذاته ويبلغ منها غاياته وشهواته وأنّ من عرف الله حقاً وكاد أن يشاهد ما أعده للمطيعين من رحمة وللعاصين من نقمة كيف لا يكون عابداً صواماً وقواماً فإنا لا نستغرب وقد عرفنا بعض الشّأن لميثم إذا قيل عنه: وكان ميثم رحمه الله من الزّهاد وممن يبست عليهم جلودهم من العبادة والزّهادة وهذا عدوه يشهد بفضله والفضل ما شهدت به الأعداء جاءه الّذي يريد طعنه بالحربة وهو مصلوب فقال وقد أشار إليه بالحربة: والله ما علمتك إلا قواماً ثمّ طعنه في خاصرته فاجافه.

ومن هنا تعرف أنّ النّاس معادن وأنّ الشّقي لا يختار الشّقاء جهلاً بالسّعادة ويرضى الباطل عمى عن الحق بل يعرف الحقّ حقاً فيجتنبه والباطل باطلاً فيتبعه سوء اختيار منه ورغبة في الضّلال وإلا فما الّذي دعا هذا اللّئيم عنصراً أن يقتل ميثماً شاهداً له بالعبادة الفضلى.

فصيح بليغ

عرفنا من أحوال ميثم أنّه كان من العجم، ولكن لم تجد ما يدلنا على بقائه على العجمة ولعله تولد في العجم وأسره المسلمون في حربهم مع كسرى وهو صغير فنشأ على العربية في دار العروبة واستقى العلوم والمعارف من أمير المؤمنين فجعلته بليغ المنطق فصح اللّسان، إنّ البيان الّذي ترويه عنه الكتب يشهد لتلك البراعة في النّطق، وأنّ خطابته على جذع الصّلب تنبيك على تلك البلاغة في القول، ولو كا عيّ اللّسان أعجمي البيان لما اجتمع النّاس حوله ليستمعوا منه خطابته ولما بادر النّاس إلى ابن زياد يحثونه على قطع لسانه حذراً من فضيحة بني أمية ومن تغيير النّاس عليهم بل لكانت عجمته تغني القوم عن تلك المخاوف والمخاطر لو كان أعجمياً عيباً، وكفى دليلاً على بلاغته وبراعته ما كان من حديثه مع ابن زياد حين ندبه أهل السّوق للدخول على ابن زياد شاكين إليه عامل السّوق، يقول ميثم فدخلنا عليه وكنت خطيب القوم فنصت لي وأعجبه منطقي، ولو لم يكن ذا بلاغة وفصاحة لم ينصت له ولم يعجب بمنطقه، ولو لم تكن إلا صحبة أمير المؤمنين تلك البرهة لكفته في تعلم الفصاحة والبلاغة وإن كانت لديه عجمة فارس كلّه وعياء البله أجمع.

داعية الحقّ

ظاهرة في ميثم تريك مبلغ جهاده في الدّعوة إلى الحقّ يسمعك دوماً السّر المكنون والعلم المخزون، ويحدثك عن المنايا والبلايا عند كلّ فرصة أترى ذلك كلّه حباً للإعلام عما يحتمله من غامض الأسرار وأسرار العلوم أم لأمر وراء هذه أعلى وأغلى منه، لا أجد ما فيه إلا الدّعوة للحقّ، يريد بهذه الأحاديث أن يعرف النّاس مقام أبي الحسن ومبلغه من العلم، ومقدار نفعه للأمّة لو كانت واعية قوله مصغية لنصحه، فإنّ تلميذه ومولاه إذا كان يحتمل من العلم ما لا تعرفه النّاس فكيف بأستاذه وسيده ومثقفه، وإلا فما الّذي يحدو بميثم أن يجابه ابن مرجانة بغليظ الكلام ساعة الرّهبة والخوف من الفتك، وما الّذي يدعوه إلى التّحدث عن السّر المكنون وعجائب الوقائع وغرائب الحوادث، ومعالي الفضائل لأهل البيت مصرحاً بأنّ ذلك مأخوذ من أبي الحسن(عليه السلام) لولا الدّعوة إلى الحقّ والإفصاح عن شامخ المنزلة للمرتضى علي(عليه السلام).

إنّ ميثماً حينما ارتفع على خشبة الصّلب وجدها الفرصة الثّمينة لنشر الدّعوة لأمير المؤمنين(عليه السلام) وأين الإنسان ساعة الموت من الحديث والدّعوة غير أنّ ميثماً لا تفوته الفرص ولا يعبأ بالموت مادام رائده الحق وسائقه الحقّ، ومنقلبه إلى الحقّ، هكذا فلتكن الدّعوة إلى الحقّ، والتّضحية في سبيل الدّين، أفلا أيقنت إذن أنّ ميثماً كان داعية الحقّ.

حرب الباطل

كان ميثم عند كل سانحة يحدث عما سيجري عليه من فظيع الأعمال فنجده وهو يريد أن يدلي إلى ابن عباس بتفسير الكتاب المبين الّذي أخذه عن أمير المؤمنين(عليه السلام) ينعى نفسه لابن عبّاس شارحاً له ما سيفعله القوم معه، ويدخل على أم سلمة فتأمر جاريتها فتطيب كريمته فيذكره الطّيب بخطاب الدّم فينعى لها نفسه ويجتمع بحبيب بن مظاهر فيخبره حبيباً عما سيصيبه يوم الطّف ليخبره حبيب عما يجري عليه من فظيع الفعل فيسمع النّاس منهما هذا الحديث وهذا النّبأ الغريب وينبأ العريف عما سيقوم به من جلبه إلى ابن مرجانة ومازال هذا دأبه أيام أمير المؤمنين(عليه السلام)، بعد أيّامه حتّى أنّه كان يتعاهد النّخلة ويصلّي عندها ليعلم النّاس أنّها الّتي تكون مرتقاه وكان يقول دائماً لابن حريث أنّي مجاورك فأحسن جواري وكان يود أن يسمع من أمير المؤمنين في كلّ مناسبة حديث أخذه وصلبه وطعنه وقتله وما يجري عليه، حتّى أصبح ابن زياد نفسه يدري بهذا الحديث لكثرة شيوعه وذيوعه وتحدث النّاس به.

أفهل يا ترى كان كلّ هذا من ميثم نعياً لنفسه وحزناً عليه وتفجعاً لما سيصيبه إنّ ذلك وإن جاز أن يقع من النّاس عزة للنّفس لكن ميثماً أسمى مقاماً من أن يكون ذلك منه إعزازاً لنفسه وحباً لها وتوجعاً على ما سيلاقيه وإن غلبت نفسه عنده بل أن تصده أفضل وأرفع على ما أحسب واعتقد كان ميثم يريد أن ينشر راية الحق ويقيم الحجة على الباطل ويظهر للملأ جور بني أمية وارتكابهم من أعلام الإيمان ما لا يحل من دون مبرر ومسوغ فكان ذلك النّعي لنفسه حرباً للباطل ومقاومة للضّلال وما قنع ميثم بأن يكون داعية الحق فحسب دون أن يكون حرب الباطل فما كان يحدث بفضائل أهل البيت فقط دون أن ينشر مخازي بني أمية، كما يستدعيه مقام الفريقين ومن ثمّ قيل لابن زياد قد فضحكم هذا العبد، وليس العار على بني أمية أن يكونوا أرباب خزي وعار وإنّما العار على أولئك النّاس أن يقبلوا أئمة ضلال يسوسونهم ويقودونهم إلى حيث الضّلالة والجهالة ويسومونهم سوء العذاب.

هذه هي غاية ميثم في نشره لأمره على ما اعتقد، هكذا فلتكن الغايات الغالية، هكذا فليكن الحرب للباطل لا يفتر عنه ابن الدّين طرفة عين.

الخضر(عليه السلام) يراه ميثم

إنّ الخضر(عليه السلام) منحه الله بعين الحياة فاستدامت له الحياة ولا ريب في أنّ تلك المنحة وذلك الاختيار ودوام ذلك البقاء لصالح العباد، ولدلالة النّاس على الصّالح والرّشاد، فإن امتنع من ذلك جهراً لأمر يعلمه الله تعالى فلا يمتنع سراً، وهكذا الشّأن في الحجة المنتظر عجل الله فرجه فإنّ الله سبحانه ما نصبه للإمامة إلا لصالح الأمّة وحين حال النّاس بينه وبين أصلاحهم فغاب عنهم هرباً منهم صار دليلهم في السّر وهاديهم في الخفاء، وإذا خفي علينا ذلك الإرشاد وتلك الدّلالة، فلا يكون ذلك داعياً لإنكاره وسبباً لجحده، مادام البرهان يخبرنا عنه.

فالخضر والحجة مازالا غائبين عن العيون ولا يراهما إلا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وأين ذلك المؤمن، نعم إنما يرى مثل ميثم الخضر(عليه السلام) يقول الأصبغ بن نباته كان أمير المؤمنين(عليه السلام) يصلي عند الاسطوانة السّابعة من باب الفيل مما يلي الصّحن إذ أقبل رجل عليه بردان خضراوان وله عقيصتان سوداوان أبيض اللّون فسلم وأكب على أمير المؤمنين يقبّل رأسه ثمّ أخذ بيده وخرج ما باب كندة فخرجنا خلفهما مسرعين فاستقبلنا أمير المؤمنين(عليه السلام) راجعاً فقال: ما لكم فخبرناه خوفنا عليه، فقال: هذا أخي الخضر أنّه قال لي حين أكب علي: أنّك في مدرة لا يريدها جبار بسوء إلا قصمه الله وخرجت معه أشيّعه.

وجاء الخضر مرّة أخرى فإذا ميثم التّمار يصلّي إلى تلك الاسطوانة فقال يا صاحب السّارية اقرأ صاحب الدّار السّلام يعني علياً، وأعلمه أنّي بدأت به فوجدته نائماً[1].

(1) البحار «الطبعة الحديثة».

وإنّ مثل هؤلاء لا يفوتهم مرأى الخضر(عليه السلام)، فإنّ الخضر إن غاب عن النّاس فلا يغيب عن لباب النّاس.

ميثم ينعى الحسين(عليه السلام)

كان ميثم ينعى الحسين(عليه السلام) في كلّ نهزة تقول جبلة المكية سمعت ميثماً التّمار يقول: والله لتقتل هذه الأمّة ابن بنت نبيها في المحرم لعشر مضين منه وليتخذنّ أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة وإنّه لكائن قد سبق في علم الله ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إلي مولاي أمير المؤمنين وأخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار والطّير في جو السّماء وتبكي عليه الشّمس والقمر والنّجوم والسّماء والأرض ومؤمنو الإنس والجن وجميع ملائكة السّموات والأرضين ومالك وحملة العرش وتمطر السّماء دماً ورماداً، ووجبت لعنة الله على قتلة الحسين كما وجبت على المشركين الّذين يجعلون مع الله إلهاً آخر وكما وجبت على اليهود والنّصارى والمجوس، قالت جبلة يا ميثم: وكيف يتخذ النّاس ذلك اليوم الّذي يقتل فيه الحسين يوم بركة فبكى ميثم وقال: سيزعمون لحديث يضعونه إنّه اليوم الّذي تاب الله فيه على آدم وإنما تاب عليه في ذي الحجة ويزعمون أنّه اليوم الّذي قبل الله فيه توبة داود وإنما قبل الله عز وجل توبته في ذي الحجة ويزعمون أنّه اليوم الّذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت وإنما أخرجه الله عز وجل من بطن الحوت في ذي الحجة، ويزعمون أنّه اليوم الّذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي وإنما استوت على الجودي في اليوم الثّامن عشر من ذي الحجة، ويزعمون أنّه اليوم اليوم الّذي فلق الله عز وجل فيه البحر لبني إسرائيل، وإنما كان ذلك في ربيع الأوّل.

ثمّ قال ميثم يا جبلة اعلمي أنّ الحسين بن علي سيد الشّهداء يوم القيامة ولأصحابه على سائر الشّهداء درجة.

يا جبلة إذا نظرت إلى الشّمس حمراء كأنّها دم عبيط فاعلمي أنّ سيد الشّهداء قد قتل.

قالت جبلة فخرجت ذات يوم فرأيت الشّمس على الحيطان كأنّها الملاحف المعصفرة فصحت وبكيت وقلت قد والله قتل سيدنا الحسين بن علي صلوات الله عليهما[1].

وما كان هاذ نعياً للحسين(عليه السلام) فحسب بل كان هذا الحديث جامعاً لعدة علوم، ودراية بأنّ جبلة سوف تدرك يوم الحسين(عليه السلام)، وهذا النّعي للحسين(عليه السلام) جرى عليه رسول الله(صلى الله عليه وآله) ومن سبق من أهل البيت على الحسين بل ومن سلف من الأنبياء والرّسل وجرى الخلف من أهل البيت في نعيه على سيرة السّلف، وهل تلك الذّكريات ومآتم النّوح والبكاء كانت حزناً على الحسين فحسب أو لشيء وراء استفظاع تلك الحادثة المشجية المبكية، إنّ حادثة الطّف بنفسها تستدر العبرة وتجلب الحسرة، وتشقق المرائر وتفتت الأكباد ولكن هناك أمراً آخر دعا بالأنبياء وبسيدهم وبأهل بيته وبمواليهم أن ينعوا الحسين ويبكوا عليه قبل أن يجري عليه ذلك الحدث الفظيع وبعد أن جرى عليه ذلك الخطب المريع هو استنكار فظيع الأعمال، واستكبار التّضحية في الدّين، واستعظام الدّعوة إلى الحق، لتنسج النّاس على منوالهم في ذلك الاستنكار والاستكبار، وفي ذلك الاستفظاع والاستعظام، فيرتفع منار الدّين، ويكثر أنصاره ودعاته، ويتعلم النّاس الدّفاع عن الحق ولو بالنّفوس والنّفيس.

وإنّ النّاس وإن جرى البعض منهم على هذه الشّاكلة من النّوح والبكاء والعويل والصّراخ إلا أنّه فاتهم النّظر في تلك الحكمة الجليلة والغاية الغالية، وإنّ هاتيك المظاهر والشّعائر قد تقودهم إلى شيء من ذلك الاستفظاع والاستنكار، والتّقدير والتّبجيل وإلى الدّعوة والتّضحية، ولكن من دون انتباه إلى القصد والتفات إلى الغاية فيدركون بعض القصد من حيث لا يشعرون فما أعظم حادثة الطّف، وأكبر ما جرى على ذلك الذّبيح في نصرة الدّين، وما أغلى الفادي والمفتدى وما أجل الغاية وأقدس القصد.

وما أكبرك يا ميثم وأسمى أمثالك ممن كان لديهم علم هذه الفاجعة الموجعة، فسعوا لإظهار الحق، ومحاربة الباطل، قبل أن يتقابل الفريقان، وتتحارب الفرقتان، هكذا فلتكن الدّعوة للحق ولتكن النّصرة للدين.

ميثم وابن زياد

كفى بالأجل حارساً، أنّ الاضطهاد الّذي رآه شيعة أمير المؤمنين بعد أمير المؤمنين جرف بالرّؤوس والأذناب منهم ومازالت الأيدي تنطف من دمائهم، وكان ميثم أولى النّاس لأن تعلق به مخالب معاوية وزياد فإنّه من أمثل رجال أبي الحسن ومواليه وأبرزهم في الفضيلة، ومن حواريه وما حواريه إلا أربعة، ولكنّه الأجل حال بينهما وبينه وكفى به حارساً.

أودع أمير المؤمنين(عليه السلام) عهده إلى ميثم بأنّ صاحبه الّذي يرتكب منه الجرائم والمآثم هو الدّعي ابن زياد أليس أبو الحسن يخبر عن الرّسول والرّسول عن جبرائيل عن الجليل تعالى وهل يا ترى يقع تخلف في هذا الإخبار قال له يوماً كيف أنت إذا دعاك دعي بني أمية عبيد الله بن زياد إلى البراءة مني، فقال ميثم: لا والله لا أبرأ منك قال إذن والله يقتلك ويصلبك، قال: أصبر فذاك في الله قليل، وقال ميثم مرّة وقد أخبره أمير المؤمنين(عليه السلام) بما سيصنع به: ومن يفعل ذلك بي

(1) ميثم التّمار للعلامة السّيد عبد الرّزاق المقرم عن آمال الصّدوق(رحمه الله).

أمير المؤمنين، فقال يأخذك العتل الزّنيم ابن الأمَة الفاجرة عبيد الله بن زياد.

ولما سلم ميثم من أولئك العتاة نشبت فيه أظفار دعيهم وأنّ ميثماً لذلك الأخبار من أمير المؤمنين على يقين بأنّ صاحبه ابن مرجانة فكان ميثم يلاقيه بغليظ القول، وهل يفعل معه أكثر مما قدر له، فكانت تلك الشّدة في الملاقاة نصرة للحقّ ودحضاً للباطل.

فكان ابن مرجانة فرعون ميثم، وكان منه معه ما لا تفعله القياصرة والأكاسرة الكفرة العتاة والجبابرة الطّغاة، ولكنّ ما فعله خير لميثم وشر له، فكأنّما شاء الله إلا يخرج أعداءه من الدّنيا إلا على حربه ظافرين بأوليائه في هذه العاجلة، وإلا يخرج أولياءه منها إلا من ظلمة السّجون وظلال الرّماح والسّيوف اختياراً لهم رفيع الدّرج وسامي الغرف في الأجلة، وهل ينالون ذلك بغير النّكد والكدر والضّنك والضّيق، وخاتمة أمرهم الشّهادة وهل أفضل من الشّهادة.

نعم لئن ظفر أعداؤه بأوليائه يوماً من الدّهر فقد ارتحل أولئك بالخزي والعار وهؤلاء بالفضيلة وجميل الأحدوثة، وها هو الدّهر يحفظ للفريقين ماله وعليه، فاسمع وأقرأ ما خلده الدّهر من رذيلة أولئك وفضيلة هؤلاء، هذا في هذه الدّار، ولعذاب الأخوة أشد وأخزى، وثوابها أعلى وأغلى.

ميثم وعمرو بن حريث

أخبر أمير المؤمنين(عليه السلام) ميثماً بجميع ما سيجري عليه، وكلّ ما سيلاقيه، ومما أخبره أنّه سيصلب على باب عمرو بن حريث، وكان ميثم يلقى عمرو بن حريث فيقول أنّي مجاورك فأحسن جواري، وهو لا يعلم ما يريد فيقول له: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم، ولكنّ ابن حريث أبت نفسه إلا سوء الجوار، فإنّه مر على ميثم وهو مصلوب على الجذع يحدث النّاس بفضائل أهل البيت وأمير المؤمنين ومخازي بني أمية فابتدر مسرعاً إلى ابن زياد وهو يقول: أصلح الله الأمير بادر فابعث إلى هذا من يقطع لسانه فإنّي لست آمن من أن تتغير قلوب أهل الكوفة فيخرجوا عليك فالتفت ابن زياد إلى حرسي فوق رأسه فقال اذهب فاقطع لسانه.

بل إ نّ ابن حريث هو الّذي أغرى ابن زياد بميثم فإنّه حين دخل ميثم على ابن مرجانة في ناس كانوا معه، قال عمرو: أصلح الله الأمير تعرف هذا المتكلم، قال: ومن هو، قال: هذا ميثم التمار، الكذاب مولى الكذاب علي بن أبي طالب، فاستوى ابن زياد جالساً فقال لميثم ما يقول عمرو، فقال ميثم كذب أيها الأمير أنا الصّادق مولى الصّادق علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حقاً.

فأبى ابن حريث إلا اللّؤم والشّوم، والّذي خبث لا يخرج إلا نكداً وماذا ينفع ابن حريث بعد هذا التّحريض والإغراء أن يأمر جاريته بكنس ما تحت الخشبة الّتي عليها ميثم مصلوب ورشها ووضع المجمرة تحتها زعماً منه أنّ هذا حسن الجوار، الّذي أراده منه ميثم، أيقتله بسيفه ويمسح عن وجهه الدّم عطفاً عليه.

فضائل أهل البيت

ما جرى على ميثم وعلى الأماثل من أمثاله ممن والى أهل البيت إلا من جراء ذلك الولاء والحب والنّصح والإخلاص وما كان ذلك الحب والولاء عصبية أو قرابة، وأين ميثم وفارس من الحجاز وأهل البيت وإنّما كان حبّهم وولاهم إجابة لله وللرسول حين أمر بود أهل البيت والإتباع لهم والتّمسك بعروتهم وجدير بالمرء أن يمتثل أمر باريه وأمر رسوله النّاصح الأمين، وجدير به إذا كان حبّه لله وفي الله ألا يعدل عنه إذا شاهد حدود الشّفار، فإنّها المحنة في الله تعالى، والفتنة للمؤمن، والمنقلب إليه عزّ شأنه وهو الخصم والحكم ومن أعدل منه وأقوى انتقاماً، وأين المفر من عدله، غير أنّ النّفوس أمارة بالسّوء ومنقادة للهوى، لا تصبر عند المحنة ولا تثبت عند الفتنة، بل تحيد عن الحقّ جزعاً من البلاء وتهرب عن الله خوفاً من النّكال، وإلى أين تهرب وعن أي أمر تحيد.

كان يقين ميثم بالله وبحسن العقبى يحمله على التّظاهر بسريرته، والتّجاهر بعقيدته ولا تنفعه التّقية وأمره ظاهر لاعدائه والقضاء جار لا مردَّ له فكان يحدث بفضائل أهل البيت وهو بين يدي الموت فكأنّ الموت منهله العذاب أفلا أفزعه رقية خشبة الصّلب كلا بل اغتنم ذلك الرّقي ليتخذ من الجذع منبراً للخطابة لأنّ المرتفع اسمع للصّوت وأبلغ في الوعظ وإنّ النّاس على خطيب الأعواد أجمع ومنه اسمع رفعوه على الجذع وإذا به يصيح بأعلى صوته أيّها النّاس من أراد أن يسمع الحديث المكنون عن علي بن أبي طالب قبل أن أقتل فوالله لأخبرنكم بعلم ما يكون إلى أن تقوم السّاعة، وما يكون من الفتن وأقبل يحدث النّاس بفضائل بني هاشم والعجائب.

ولست أدري من أي الأمرين أعجب أمن ثبات جأشه ساعة الصّلب حتّى كأنّه سيق للخطابة لا للقتل وتقطيع الأوصال أم من علمه الجم ودرايته بعلم الكائنات إلى يوم القيامة ولكنّ من عرف ميثماً ونفسيته وما وعاه من أمير المؤمنين لم يعجب من كلا الأمرين إنّ من نظر الأشياء كأن لم يكن بينه وبينها حجاب لم يحفل بالموت وكيف يحفل بالموت وهو يرى ما بعد الموت كأنّه مجسم ملموس وهيكل محسوس بل يود فراق هذه الدّنيا الدنية وأهلها العصاة وما فيها من كدر وآلام وإنّ من يربيه ويغذيه أبو الحسن خازن علم الرّسول(صلى الله عليه وآله) كان حرياً بأن يعلم ما في الكائنات والفتن إلى الحشر والنّشر بل ما كفى

ميثماً أن يكون في هذه السّاعة الرّهيبة راوياً لفضائل أهل البيت وناشراً لعلم أمير المؤمنين(عليه السلام) حتّى رأى الجذع فرصة مغتنمة بل هو في هذه السّاعة احرص على الحديث لأنّها آخر ساعة من حياته ولا أمل له في الحياة ليسوف التّحدث والتّبلغ.

فضحكم هذا العبد

ما كان ذنب أهل البيت عند أعدائهم إلا أنّهم أهل لكل فضيلة وصاحب الفضيلة محسود ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه**﴾ فإن ظهر شأن أهل البيت ظهرت الفضائل وأين مصير أعدائهم عندئذ وبماذا يسود أولئك الأعداء النّاس فمن ثمّ كان أعداء أهل البيت يجهدون في كتم فضائل أهل البيت لئلا يعلو لهم ذكر فتخمد به جذوة أولئك الأعداء فكان كتمان الفضل لأهل البيت ظهوراً لأعدائهم وظهور أهل البيت فضيحة لأعدائهم.

يرفعون ميثماً على الخشبة وهو يهتف بالنّاس هلموا فاسمعوا مني الحديث المكنون وهو لا يريد أن يحدثهم إلا بما ينفعهم فإذا بالنّاس حوله جمع كبير رامقين إليه بأبصارهم ملقين بأسماعهم وإذا به يحدث عن فضائل أهل البيت ومخازي بني أمية فتمر عليه أشياع بني أمية وهو صادح بحديثه مغرد بوعظه، وهل هذه إلا طعنة نجلاء في مقاتل الأمويين، وإذا بالنّذير لابن مرجانة قد فضحكم هذا العبد ويمر عليه عمرو بن حريث فيرى الجماعة فيسأل عن الحال فيقال له ميثم التمار يحدث عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) فينصرف مسرعاً إلى ابن زياد هاتفاً به يا أمير أبعث إلى هذا من يقطع لسانه، فلست آمن من أن تتغير قلوب النّاس فيخرجوا عليك.

تلك نصيحة من ابن حريث لابن زياد حقاً، أليست فضائل أهل البيت وحدها كافية في فضيحة آل أبي سفيان فكيف إذا انضم إليها التّحدث عن مخازي بني أمية، وهل يأمن من انقلاب النّاس عليهم إذا انكشفت جلاء هاتيك الفضائل العلوية وهذه المخازي السّفلية.

وهذا الشّعور سائد على أعداء أهل البيت من أوّل يوم كان لهم فيه أعداء ومن أوّل يوم ظهر فيه لأهل البيت فضل، وأنّ ابن زياد في غنى عن هذا النّصح، وهو مطبوع على هذا الشّعور، وإنّما هو في حاجة إلى الدّراية عما يقول ميثم فحسب، ولكنّها نفس ابن حريث وعداؤه لأبي الحسن.

ميثم والتّقيّة

إنّ من مذهب أهل البيت التّقية وما حقنت دماء أوليائهم ونما مذهبهم حتّى ملأ الخافقين إلاّ من التّقية، ودلت عليها البراهين القطيعة من عقل ونقل كتاب وسنة، وقد بسطنا القول في التّقية في كتابنا حياة الصّادق(عليه السلام) واستطردنا البواعث على أمرهم بها والفوائد الّتي لمسوها منها.

ولعلّك تقول: إذا كانت التّقية من دين أهل البيت فلماذا خرق حجابها ميثم ولم يتستر بذلك الحجاب الكثيف ليدفع عنه غائلة الصّلب والقتل وهو أجدر النّاس بالعمل بأوامر أهل البيت.

فإنّي أقول لك: إنّ أوّل من هتف بالتّقية من الأئمة المعصومين هو أمير المؤمنين(عليه السلام)، بل أنّه أوّل من طبقها على نفسه، ومازال في تقية حتّى في سلطانه، فكان حري بأصحابه الّذين اتبعوا نهجه وحذوا أمثاله وبحواريه الّذين احتملوا غامض علومه أن يتستروا بهذا الحجاب ليدفعوا عنهم نوازل العدوان والجور، ولا يلقوا بأيديهم إلى التّهلكة، ولكنّ الّذي حال بين ميثم وبين التّقية أمور الأوّل، أنّ أيام أمير المؤمنين في سلطانه كانت فرصة لأوليائه في ظهورهم دفاعاً عن الحقّ لساناً وسناناً، فكلّما كان الرّجل أكثر جهاداً في الدّفاع والدّعوة كان في الولاء والحبّ أظهر، ولما خان الدّهر بأبي محمّد الحسن(عليه السلام) وملك الأمر معاوية حاول أن يثأر من الإسلام ونبيه ومن أبي الحسن وجهاده، وممن يشفى غيظه إذا لم يجرد السّيف على أهل البيت وأوليائهم، وكيف يخفى عليه أولئك الأولياء وهم نخبة المصر ومن يشار إليهم بالبنان في صفين، ومن صكت أصواتهم مسامع معاوية وكم غص بالرّيق من جراء سيوفهم المجردة ورماحهم المشرعة، فكان بعد ذلك العهد ينتقيهم واحداً بعد آخر فيذيقهم الموت جرعاً، وماذا تدفع عنهم التّقية وهم معروفون عنده معلمون لديه، وليس العجب أن أتى عليهم قتلاً وصلباً وسجناً وإنّما العجب كيف سلم منه ميثم وشرذمة قليلة من تلك الصّفوة، ولكن كفى بالأجل حارساً ولابدّ للدّين من لسان وللحقّ من ناصر، ولست جاهلاً بما ارتكبه معاوية من هاتيك النّخبة المصفاة لاستطرد شيئاً من تلك الأعمال، ولكنّي أذكر لك كلمة من كتاب للحسين(عليه السلام) إلى معاوية تفصح لك عما أتاه معاوية من هاتيك الفئة الصّالحة فإنّه(عليه السلام) بعد ما ذكر لمعاوية ما جناه من قتل حجر بن عدي وأصحابه وعمر بن الحمق وأضرابه واستلحاقه لزياد قال: فكتبت إليه أي إلى زياد أن أقتل كلّ من كان على دين علي فقتلهم ومثل بهم بأمرك إلى أن قال(عليه السلام): ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا[1] إذن فماذا تجدي التّقية تلك الزّمرة ومعاوية الآمر وزياد سيفه الصّارم وهو بهم عالم ألم يكن زياد من رجال أبي الحسن قبل هذا العهد، وأنت خبير بمبلغ عداء الأمر وبطش المأمور والثّاني أنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) علم بما سيقوم به معاوية من البطش في

(1) انظر رجال الكشي في ترجمة عمرو بن الحمق ص.

الصّفوة من رجاله ولقد أنبأ الكثير منهم بما سيجري عليهم من البلاء ورخص لهم بسبّه زكاة له ونجاة لهم، وحظر عليهم البراءة منه فكان معاوية وعماله إذا ظفروا بواحد من أولئك الأماثل عرضوا عليه البراءة من أمير المؤمنين(عليه السلام) علماً منهم أنّها فصل الخطاب وكشف الحجاب إذا كان متستراً بالتّقية، وميثم عرض عليه ابن زياد البراءة قبل أن يوجه به إلى الصّلب، فكانت البراءة اليد القوية الّتي رفعت عنه الحجاب لو كان ثمّة حجاب، فأمره كان بين إراقة دمه أو نقض دينه، وميثم من علمت في قوّة إيمانه ويقينه وثباته.

الثّالث أنّ للتقية حدوداً فإذا لم توجد تلك الحدود فلا رخصة في التّقية ومن أجل ذلك قال الباقر(عليه السلام)، إنّما جعلت التّقية ليحقن بها الدّم فإذا بلغ الدّم فليس تقية[1].

وأنت خبير بأنّ ميثماً بلغ به الحال إلى القتل حين حرض ابن حريث وغيره ابن زياد على قتله فكيف يتقي وقتئذ وقد بلغ السّيل الزّبا، وهو العالم الخبير بالتّقية في الحكم والموضوع.

الرّابع أنّ الدين أهم من النّفوس فلو توقف حفظ الدّين أو نشر الحق على التّضحية بالنّفس والنّفيس فلا تقية عند ذاك، ولأي شيء فرض الإسلام الجهاد وأوجب القتال وفيه إهراق الدّماء وتقطيع الأوصال ولأي شيء ضحى أبو عبد الله الحسين(عليه السلام) بنفسه الزّكية وبالصّفوة من رهطه وصحبه وهو العليم بأنّه يقتل ويقتلون وهو الخبير بأنّه لا يقوى على مقاومة بني أمية، أليس ذلك للدّين أليس الدّين إذن أهم من تلك النّفوس الثّمينة فإذا عرف رجال الدّين أنّ الدّين يندبهم إلى التّضحية في سبيله فلا تقية ولا اغضاء، ولا تواني ولا إحجام، وإنّ ميثماً ممن قرأ التّنزيل وعلم التّأويل، أو تخفى عليه التّقية وأحكامها، والحقّ يهتف بأهله، والدّين يصرخ برجاله طالباً منهم الإفصاح عن الحقيقة، وهل يا ترى تسلم تلك الأرواح المجبة بدون الإزهاق، والرّجال الملبية بدون الإهراق.

الخامس أنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) أخبر ميثماً مراراً بما سيجري عليه وأعلمه أنّه سينال الدّرجات الرّفيعة في دار الخلود على ما يصيبه ولو كان في هذه الحال مخالفاً للواجب في حقّه، لكان الأمر بالعكس وكيف تجب عليه التّقية وما أبانه حق أهل البيت وأظهر ظلم بني أمية إلا تلك النّفوس المزهقة ظلماً وعدواناً وإلا هاتيك الدّماء المراقة بغياً وجوراً.

نعم جاز أن يكون الأمر إليه في التّقية إن شاء أتقى حقناً لدمه وإن شاء أعلن بالحقّ نصرة للدّين، وفي هذا الإعلان إخراج العلقة من جوفه، ومثله لا يخفى عليه الحكم، ومثله لا يفوته أفضل الأمرين.

ولهذا ومثله يحمل قول الصّادق(عليه السلام) ما منع ميثم رحمه الله من التّقية فوالله لقد علم أنّ هذه الآية نزلت في عمّار وأصحابه من إكراه وقلبه مطمئن بالإيمان.

وكفى دفاعاً عن ميثم قسم الصّادق(عليه السلام) بعلم ميثم، وكفى إكباراً لمقامة ترحمه عليه، ومن يعلم بتنزيل القرآن وتأويله كيف يغيب عنه الحكم في التّقية فإنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) لو علم أنّ التّقية تجب عليه لأوصاه بها كما أنّه لم يمنعه منها لعلمه بأنّ ميثماً لا يجهل الحكم والحال في التّقية.

وكيف يتسنى لميثم أن يعمل بالتّقية وقد عرضه ابن زياد على البراءة فهو بين الموت على الحق والحياة على الضّلال، وأنت تعرف ميثماً وما يختار.

حديثه

جرت أساليب أرباب الرّجال أن يعتبروا الثّقة في الحديث من وثّقه عادلان وأنّ ميثماً أكبر شاناً من أن تجرى عليه هذه الأساليب، لأنّه اجتاز حدود العدالة والوثاقة، وإنّما هو من خزنة علم أبي الحسن، وقد عرفت مما سبق أنّ أسرار العلوم، وغوامض الأسرار كان يلقي بها إليه باب مدينة علم الرّسول(صلى الله عليه وآله) وكفى ميثماً فضلاً أن يقول وهو الصّادق: من أراد أن يسمع الحديث المكنون عن أمير المؤمنين فوالله لأخبرنكم بعلم ما يكون إلى أن تقوم السّاعة وما يكون من الفتن، وأنّ من يتسع صدره لهذا العلم المخزون والسّر المكنون لأرفع من أن يوثقه من لا يدانيه في علم أو يجاريه في كرامة.

وكان ميثم من رجال الحديث الّذي يؤخذ عنه العلم ويسمع منه النّقل قال صالح بن ميثم قلت للباقر(عليه السلام): حدثني، فقال: أما سمعت الحديث من أبيك، قال لا، كنت صغيراً.

وهذا لم يكن إعلاماً عن سمو المكانة لميثم في الحديث فقط بل وإيذاناً عن تحمله ما يسد الفراغ ويغني طالب الحديث.

كتبه

إنّ لميثم كتباً يرويها عنه بنوه، غير أنّ أرباب الرّجال لم يذكروا ما تلك الكتب، وفي أي علم هي، نعم إنّك عرفت مما سبق أنّه عالم بالتّفسير عالم بالمنايا والبلايا، ولديه علم الكائنات والفتن وهل شيء وراء هذا يطلب في العلم، أو لم يكن حرياً وهو بهذه المنزلة أن يحظى بالعلوم كافة.

وأنّ ضيعة أمثال هاتيك الكتب الثّمينة لضيعة للفضيلة وحرمان من نفائس الفنون، بلى، إنّ شيئاً قليلاً في فضائل أمير المؤمنين وأهل البيت روته عنه الكتب، ولم تحفظ الرّواة له كثيراً من الحديث، وإنّ عدم الاهتمام من أهل ذلك العصر حدا بضياع أحاديث تلك الزّمرة حملة علوم أبي الحسن ولم يكن

(1) الكافي باب التّقية.

ميثم وحده قليل الرّواية، أو بالأحرى أن يقال: قليل من روى عنه، بل أولئك الفئة خزان العلوم والمعارف كلّهم أهملت الرّواة أحاديثهم إلا نادراً جهلا من ذلك العصر بنفاسة العلم وعدم عناية بالحديث وما كانت العناية بحفظ الأخبار والآثار إلا بعد ذلك العهد نعم كان للشّعر والخطب وما شاكلهما رواية وحفظ ولولا تلك الرّواية لم يحفظ النّاس عن أبي الحسن مثل نهج البلاغة وما حفظوا عنه من الكلام أكثر مما حفظا عنه من الأحكام على أنّه ما حفظوا من كلامه إلا النّادر وما رووا إلا الأندر.

شهادته

أبى الله عزّ شانه لهؤلاء الأماثل أن يموتوا ميتة على الفراش دون أن تسقي الأرض دماؤهم أو ترتفع على الأخشاب جسومهم وليتهم شاهدوا الموت بالصّلب خنقاً وبالقتل طعناً أو ذبحاً ليستريحوا من نكد هذه الحياة الوبيلة دفعة واحدة ولكنّ كأنّهم لا يطيب لهم الموت إلا جرعاً وغصصاً أجل لئن ماتوا والدّماء تشخب من أوداجهم على أثباجهم فلقد ماتوا كراماً ضحايا للدّين وللشّريعة الغراء وأي كرامة أفضل من الموت في شريعة الحقّ وما كتب الله لهم الشّهادة إلا ليرفع لهم الرّتب في دار الخلود وما ذاك إلا من ألطافه سبحانه على كرام عباده حباً لهم وحسن اختيار لمراتبهم، وإذا أحبّ الله عبداً غته بالبلاء غتاً، وكان بذلك حجة على أولئك العباد العاصين الجاحدين.

هذا ميثم منحه اللّطيف تعالى علماً جمّاً، وصفاه من كدر العيوب حتّى كاد أن يكون ملاكاً مجرداً وما كان هذا اللّطف منه تعالى على هذا العبد الحليم الأواه بكاف لديه دون أن يختار له ما هو الأفضل نزلاً والأعلى غرفاً، وأنّ هناك لمراتب لا تنال إلا بالشّهادة فكانت شهادته حجة على أعداء الدّين والشّريعة المحمّدية، ورحمة لهذا العبد الأواب لماذا يعتدي عليه ابن مرجانة وهو من خيار المصر وأبرارهم والنّابهين في العلم والأخلاق، لو لم يكن من دعاة الدّين وعلماء الشّريعة العاملين بأحكامها، افتراه ينال منه سوءاً لو كان من أشياع بني أمية وأوليائهم وإن كان من أرباب الفجور والخمور، بل والكفر والإلحاد، أفهل حجة على ابن زياد في العاجلة والآجلة أكبر من هذه وهل رحمة لهذا العبد الصّالح أوسع من هاته.

مازال ميثم يتحدث عما سينال منه ابن مرجانة، وكان يعرف من أمره حتّى اليوم الّذي يرفعه فيه على الجذع، وحتّى الجذع الّذي يرفعه عليه وكان ينتظر ذلك اليوم ويتوقعه، يحج البيت معتمراً ويدخل على أم سلم فتحدثه عما سمعته من النّبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) في شانه، وما حدثته إلا بما يعلم، وسالها عن الحسين(عليه السلام) فأخبرته بانّه خارج إلى بعض نواحي المدينة، وأعلمته عن حديث الحسين(عليه السلام) بشانه وأنّه مازال يذكره فحدثها أنّه أيضاً مازال يذكر الحسين وسالها أن تقراه السّلام، وقال: إننا ملتقون عنه ربّ العالمين إنشاء الله تعالى وهذه من أعلام ميثم الباهرة وأخباره المستغربة عن تقارب أجليهما فكان كما أخبر فإنّه لم يكن بينهما عشرون يوماً ثمّ أخبرها بعد أن طيبت كريمته أنّها سوف تخضب بالدّم في سبيل أهل البيت فقالت من أنباك هذا قال أنباني سيدي فبكت أم سلمة وقالت ليس بسيدك وحدك وهو سيدي وسيد المسلمين.

عاد ميثم من حج العمرة إلى الكوفة فاستقبله عريف قومه من الحيرة وكان بانتظاره في مئة من الشّرطة، وكان ابن زياد ألح على العريف بإحضار ميثم وهدده بالقتل إن لم يأت به، وابن زياد من إذا قال في الشّر فعل، فقبض العريف على ميثم قبل أن يرَ أهله ويروه، وكان ميثم قد أخبر العريف عما سيكون منه معه، وهذه أيضاً من غريب أعلامه وعلومه، ولا أدري ما هذا الاهتمام من ابن مرجانة بميثم حتّى يبعث لقبضه مئة شرطي، وما هو إلا شيخ يبس جلده عليه من الزّهادة والعبادة ولا أهل له ولا عشيرة في الكوفة وابن زياد هو صاحب السّلطان وصاحب الفتك والبطش فمن يقوم في وجهه ليحول بينه وبين ميثم ولعل هذا ينبئنا عن مكانة ميثم بالكوفة فيخشى ابن زياد من الحيلولة دونه وما زالت النّاس ترتقب مجيء الحسين(عليه السلام) والاعتزاز به وما زالت الكوفة في همس واضطراب سراً وإن ملأ السّجون من الشّيعة بعد حادثة مسلم وما هي من عهد ميثم ببعيد فكان ابن زياد يلتقط وجوه الشّيعة حذراً من أن يثيروا النّاس عليه إذا قدم الحسين(عليه السلام).

فلما أدخل العريف ميثماً على ابن زياد قال النّاس لابن مرجانة: هذا من آثر النّاس عند أبي تراب، قال ابن زياد: ويحكم هذا الأعجمي وقيل إنّ قوماً من أهل السّوق قالوا لميثم: انهض معنا إلى الأمير نشكُ إليه عامل السّوق ونسأله أن يعزله عنا ويولي علينا غيره، وكان ميثم خطيب القوم فنصت له وأعجبه منطقه، فقال عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير أتعرف هذا المتكلم قال: ومن هو، قال: ميثم التّمار الكذاب مولى الكذاب علي بن أبي طالب فاستوى جالساً وقال لميثم ما يقول عمرو، فقال لقد كذب يا أمير، بل أنا الصّادق مولى الصّادق علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حقاً.

وقيل إنّ ميثماً والمختار في جمع كبير من الشّيعة حبسهم ابن زياد بعد مقتل مسلم وهانئ، ولعل حبسه كان بعد قدومه من حج العمرة كما أنبانا عن ذلك ابنه صالح قال: وبعد أن عاد أبي من الحج بيومين أخذه ابن زياد، فقال ميثم للمختار وهما في الحبس إنّك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين(عليه السلام) فنقتل هذا الجبار الّذي نحن في حبسه وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخديه فكان الأمر كما أخبره وما أكثر إخباره عن الحوادث والوقائع فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد

بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله يأمره بتخلية سبيله وذلك أنّ أخت المختار كانت تحت عبد الله بن عمر فتشفع به فأمضى شفاعته فوافى البريد وقد أخرج المختار ليضرب عنقه فأطلق، وأمّا ميثم فقد أحضره ابن زياد بين يديه، فقال له ابن زياد أين ربك، قال: بالمرصاد لكلّ ظالم وأنت أحد الظّلمة، قال: إنّك على عجمتك لتبلغ الّذي تريد، قال: وقد بلغني اختصاص أبي تراب لك، قال: قد كان بعض ذلك فقال لتبرأنّ من علي وتذكرنّ مساويه وتتولى عثمان وتذكرنّ محاسنه أو لأقطعنّ يديك ورجليك وأصلبنك وقيل: إنّ ابن زياد قال له: إنّه ليقال: إنّه قد أخبرك بما ستلقاه قال نعم إنّه قد أخبرني، قال: ما الّذي أخبرك أنّي صانع بك، قال أخبرني إنّك تصلبني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة قال: لأخالفنه، قال: ويحك كيف تخالفه إنّما أخبرني عن رسول الله(ﷺ) عن جبرائيل عن الله تعالى فكيف تخالف هؤلاء أما والله لقد عرفت الموضع الّذي أصلب فيه أبن هو من الكوفة وأنّي لأوّل خلق الله ألجم في الإسلام بلجام كما تلجم الخيل وفي رواية أخرى أنّ ميثماً قال: قلت لأمير المؤمنين: ومن يفعل ذلك بي يا أمير المؤمنين قال يأخذك العتلّ الزّنيم ابن الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد فامتلأ ابن زياد غيظاً وقال: والله لأقطعن يديك ورجليك ولأقطعن لسانك حتّى أكذّبك وأكذّب مولاك ثمّ أمر به ليقطع ويصلب فمروا به على رجل فقال له يا ميثم لقد كنت عن هذا غنياً فالتفت إليه وهو مبتسم، وقال وهو يوميء إلى النّخلة: لها خلقت ولي غذيت فلما رفع على الخشبة صاح بأعلى صوته أيّها النّاس من أراد أن يسمع الحديث المكنون عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) قبل أن أُقتَل فوالله لأخبرنّكم بعلم ما يكون إلى أن تقوم السّاعة وما يكون من الفتن وأقبل يحدث النّاس وهم مجتمعون حوله بفضائل بني هاشم والعجائب وبمخازي بني أمية وهو مصلوب على الخشبة، فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد، فقال ألجموه فألجم فكان أوّل خلق الله ألجم في الإسلام.

وجاء عمرو بن حريث يريد منزله فقال: ما هذه الجماعة قالوا ميثم التّمار يحدث عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) فانصرف مسرعاً إلى ابن زياد وقال: يا أمير ابعث إلى هذا من يقطع لسانه فلست آمن من أن تتغير عليك قلوب النّاس فيخرجوا عليك، فالتفت ابن زياد إلى حرسي، وقال اذهب واقطع لسانه فأتاه الحرسي وقال يا ميثم قل ما تشاء فقد أمرني الأمير أن أقطع لسانك، فقال ميثم زعم ابن الفاجرة أن يكذبني ويكذب مولاي، هاك لساني فقطع لسانه.

ما أصرحكم يا بني أمية في عداء الله ورسوله وآل الرّسول، وما أهون عليكم النّفوس وإن كرمت في سبيل السّلطان، وما أصبرك يا ميثم على تقطيع الجوارح في سبيل الله، فما أعظم الله في عينيك إذ تبذل في سبيله كلّ غال ورخيص، وما أعظم السّلطان في عيون بني أمية إذ يبذلون في سبيله كلّ غال ورخيص حتّى الدّين والشّرف والمروة بل وكلّ فضيلة، إذن فلماذا يراد السّلطان.

إنّ حديث اللجام وقطع اللسان وردا معاً في أعلام أمير المؤمنين عما سيصيب ميثماً وكلاهما ذكرهما ميثم في حديثه وكلاهما جاء ذكرهما في الحديث عما جرى على ميثم، ولعلهما معاً جريا على ميثم ألجموه أوّلاً فلما رأوا أنّ اللجام لا يمنع عن حديثه، قطعوا بيانه بقطع لسانه.

ثمّ أنّه في اليوم الثّاني ابتدر منخراه وفمه دماً عبيطاً قبيل غروب الشّمس أو عندها فخضب لحيته بالدّماء وفي اليوم الثّالث جاء إليه رجل وقد أشار إليه بالحربة وهو يقول: والله لقد كنت ما علمتك الأقواما ثمّ طعنه في خاصرته فاجافه فكبر وفاضت روحه الزّكية وجاء في حديث آخر إنّه طعن بالحربة في أوّل يوم فاحتقن الدّم يومين ثمّ إنّه في اليوم الثّالث قبل غروب الشّمس انبعث منخراه وفمه دماً فخضب لحيته بالدّماء، وقيل كان موته في اليوم الرّابع.

وقال صالح ابنه لما صلب أبي مضيت بعد أيّام إلى الجذع فوجدته ذلك الّذي أثبت فيه المسمار.

ثمّ إنّ عمرو بن حريث صار يأمر جاريته كلّ عشية أن تكنس تحت خشبته وترشه وتجمر بالمجمر تحته وماذا يجدي ابن حريث هذا الصّنع بعدما أغرى ابن زياد بميثم وحرضه على قتله وقطع لسانه.

فبعين الله ما لاقيته يا ميثم وهو الأخذ بحقك والمنتقم لك من عدوه وعدوك، ولئن فات الأمويين ما صنعوه هذا اليوم بميثم فلا يفوتهم يوم الخصام والانتقام، إنّما يعجل من يخاف الفوت.

وبهذا الحدث الفظيع انقضت حياة ميثم فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولئن عمل بنو أمية بميثم وأمثاله أماثل البشر تلك الأعمال القاسية فلقد حفظ لهم التّاريخ هذه المخازي، كما حفظ التّاريخ لأولئك الكرام تلك الكرامة، وبذلك خسر الأمويون كرامة هذه الفانية وتلك الباقية، وربح أولئك الأماثل تينك الكرامتين في الحياتين، والعاقبة للمتقين.

أين صلب

جاء في بعض المصادر كتاريخ الكوفة أنّ ميثماً صلبوه في رحبة الصّيارفة ولكن أكثرها تذكر أنّه صلب بالقرب من دار عمرو بن حريث ولعل دار عمرو في الرّحبة فيكون المكان واحداً والّذي يظهر أنّ دار عمرو بالقرب من مسجد الكوفة وذلك أنّ مسلم بن عقيل(عليه السلام) لما جيء به إلى قصر الإمارة

واستسقى ماءاً أرسل عمرو غلامه فجاءه بقلة ماء وقدح ولو لم تكن داره قريبة لكان الوقت أضيق من هذا.

يوم قتله

اتفقت الرّواية أنّ يوم قتله كان قبل قدوم الحسين(عليه السلام) بعشرة أيّام، وكان قدوم الحسين في الثّاني من المحرم فيكون قتل ميثم في الثّاني والعشرين من ذي الحجة.

وهل المراد من القتل هنا الصّلب أو الطّعن والموت، إنّه غير بعيد أن يراد من يوم قتله يوم موته مقتولاً، ولو كان المقصود من القتل الصّلب لذكرت الأحاديث ولو بعضها أنّ صلبه كان قبل قدوم الحسين بعشرة أيّام، فعلى ما فهمناه يكون يوم صلبه يوم العشرين ويوم موته يوم الثّاني والعشرين، وإذا كان يوم قتل الحسين(عليه السلام) يوم الجمعة يكون يوم قدومه يوم الخميس يوم قتل ميثم يوم الثّلاثاء وصلبه يوم الأحد، والله العليم بالأمر.

دفنه

اجتمع سبعة من التّمارين فتواعدوا على دفنه ليلاً فجاؤوا إليه والحرس حوله يحرسونه وقد أوقدوا النّار فحالت بينهم وبين الحرس فاحتملوه بخشبة حتّى انتهوا به إلى فيض من ماء في مراد[1] فدفنوه فيه ورموا الخشبة في مراد في الخراب، فلما أصبحوا بعث ابن زياد الخيل فلم تجد شيئاً.

ولا أدري ماذا يريد به ابن زياد بعد صلبه، وماذا يريد ممن سرقه للدفن والمواراة، أو ما كفاه ما ارتكبه منه من قسوة واعتداء ولم يذكر من كتب عن ميثم أنّه كم بقي مصلوباً، ومتى كانت سرقة هؤلاء التّمارين لجثته، بيد أنّ المظنون إنّها لم تبق كثيراً، فإنّه لو كان مصلوباً زمناً طويلاً لذكره المستطردون لذكره.

عاشر عشرة

جاءت الأخبار عن مقتل ميثم إنّه يصلب عاشر عشرة وفي حديث تاسع تسعة، ولا بد أن يكون هؤلاء التّسعة أو الثّمانية الباقون من شيعة أهل البيت بل ومن أعيانهم، ولم تذكر الأخبار من كان هؤلاء المصلوبين مع ميثم، سوى أنّ في بعض أحاديث الكشي أنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) أخبر ميثماً بأنّ النّخلة الّتي أراه إيّاها تقطع أربع قطع، يصلب على ربع منها ميثم، وعلى ربع حجر بن عدي، وعلى ربع محمّد بن أكثم، وعلى ربع خالد بن زياد، ولم نعرف من هؤلاء، ومن حجر بن عدي هذا، لأنّ حجر بن عدي الصّحابي صاحب أمير المؤمنين قتله معاوية في مرج عذراء أيّام زياد ومعه جماعة من وجوه الشّيعة عرض عليهم البراءة من أمير المؤمنين فأبوا وحديثه وحادثته معروفان معاً.

درجته في الجنة

قال أمير المؤمنين(عليه السلام) يوماً لميثم: كيف أنت إذا دعاك دعي بني أمية إلى البراءة مني، فقال: يا أمير المؤمنين والله لا أبرأ منك، قال إذن يقتلك ويصلبك قال: اصبر فذاك في الله قليل، فقال: يا ميثم إذن تكون معي في درجتي.

لا شك أنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) أراد درجته في الجنة، ولكن لا ندري كيف يكون في درجته، وإنّ الأنبياء والأوصياء لا يماثلهم أحد في تلك الدّرجات لما هم عليه من الجهاد في سبيل الله، وعظم المنزلة في المعرفة والعلم والعبادة، ولو ساواهم أحد في درجاتهم لكان منهم ولعل المراد من الدّرجة هنا أنّه إلى جانبه أو في حوزته ودائرته لأنا نعتقد في أنّ كلّ نبي ووصي يكون أماثل أصحابه إلى جنبه وبالقرب منه.

حليته

جاء في حديث حبيب وميثم عند مجلس بني أسد وقول حبيب عما سيجري على ميثم: كأنّي بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرّزق ولم يأت في صفة ميثم أكثر من هذا، وهذا يعلمنا أنّ ميثماً كان في ذلك العهد شيخاً، وليس في أحواله ما يدلنا على مقدار عمره ومتى كان مولده.

وهذا النّبأ يقول: إنّ ميثماً كان يبيع البطيخ، ولعله كان يبيع البطيخ في عهد تلك المحادثة، بعد أن كان بياعاً للتمر، وما لقب بالتّمار إلا لأنّه كان بياعاً للتمر.

قبره اليوم

إنّ الدّلائل الجمّة وافرة على أنّ قبر ميثم هو هذا القبر المنسوب إليه اليوم لأنّ قبيلة مراد من القبائل الّتي لها مسجد في الكوفة وإنّ خريطة الكوفة للقرن الثّاني والثّالث الهجريين المنشورة في تاريخ الكوفة للبراقي تكاد أن تلمسك يداً بأنّ جامع مراده هو قبر ميثم، وكفى من الدّلائل تسالم النّاس يداً عن يد على أنّ هذا القبر له مع كثرة الصّحابة والتّابعين والأولياء والصّالحين والشّهداء والعلويين الّذين ماتوا في الكوفة ودفنوا فيها واندرست قبورهم فلا نعرف لها اليوم أثراً سوى قبور قليلة.

وعلى قبر ميثم اليوم قبة واطئة لا يعرف المجاورون لمسجد الكوفة متى كان عهد بنائها حتّى من بلغ الثّمانين منهم وليس تحتها ولا في البناء الّذي حول القبر كتابة أو نقش لنعرف منه متى كان عهد البناء وقد غشي هذه القبة بالقاشاني في هذه الأيّام الحاج عبّاس ناجي النّجفي وفقه الله وأمّا السّور

(1) مراد من قبائل مذحج الّذين كان لهم مسجد في الكوفة انظر تاريخ الكوفة للبراقي ص وإنّ خريطة الكوفة الّتي نشرها تاريخ الكوفة يذكر جامع مراد بما ينطبق على قبر ميثم اليوم.

الّذي يحيط بالسّاحة الّتي حول القبر فقد بناه السّيد عطاء الله الأرومي رحمه الله وهو من أهل أروميا في أذربيجان وكان من طلبة العلوم في النّجف الأشرف وعهد بنائه قبل خمسين عاماً تقريباً وهو الّذي بنى الإيوان الّذي أمام غرفة القبر اليوم ورمم الغرفة والقبة وله آثار ما زالت باقية في المسجد وما حوله كما روى لي ذلك أحد الشّيوخ من خدمة مسجد الكوفة وكان في عهد صباه أحد الفعلة في البناء.

ورمم هذا السّور قبل سنوات أحد تجار مسقط عندما أحدث ترميمات في مسجد الكوفة وقد انهار جانب من هذا السّور فأعاد بناءه البهرة الإسماعيلية.

وكانت على القبر دكة وعليها صخرة كتب عليها اسمه وإنّه صاحب أمير المؤمنين(عليه السلام) والدّكة والصّخرة اليوم تحت الصّندوق الخشبي الّذي صنعه الحاج خضر سياب النّجفي وفقه الله وكتب على الصّندوق مرقد صاحب أمير المؤمنين(عليه السلام) ميثم بن يحيى التّمار سنة 1360.

ويوجد اليوم غرس جديد في الصّحن من نخل وشجر وكان يسقى من بئر هناك وقد أجرى إليه الحاج رؤوف بن ملا حميد الكرخي البغدادي وفقه الله أنبوباً من ماء من الأنبوب العام الّذي يمر بالقرب من ميثم من الكوفة إلى النّجف وقد أجراه الحاج رؤوف في السّادس والعشرين من شهر رمضان عام 1364 ومنه اليوم سقى الغرس الموجود وقد بنى للأنبوب غرفة ووضع حباباً تشرب منها المارة.

وكان حول القبر سور قديم يبعد عن غرفة القبر ما يقرب من خمسة أمتار وإذا كشفوا التّراب قليلاً يظهر أساسه وقد أرشدني إليه خازن قبر مسلم(عليه السلام) الشّيخ طعمة بن الشّيخ ياسين وكان بعض الأساس مكشوفاً من جهة الشّرق ويكاد أن يكون عرض هذا الأساس ما يقارب المتر الواحد وذكر لي أنّهم وجدوا ما بين السّورين القديم والحديث من الشّرق قبوراً قديمة وهذه شواهد أخرى على أنّ هذا القبر لميثم.

ولو كان لدينا منقبون من أهل الآثار لاكتشفوا من آثار الكوفة القيمة وقبورها الجليلة الشّيء الكثير.

وإنّ قبر ميثم ما زال مزاراً للشيعة وله اليوم خادم موكل به وهو السّاقي للغرس والقبر قريب من مسجد الكوفة الأعظم من الجنوب الغربي على يسار الجائي من الكوفة إلى النّجف ويمين الذّاهب إلى الكوفة وهو يرشد بنفسه إلى نفسه والنّاس تشاهد من الكرامات الّتي تكون للأولياء والصّلحاء.

أولاد ميثم التّمار

إنّ من شؤون حياة المترجم أن يلم الكاتب بشيء من حياة بنيه، وقد كان لميثم صفوة منتجبة من الأولاد والأحفاد، نالهم ميثم شرفاً وفخراً، ومثله من يحبو بنيه الفخر والشّرف.

أمّا أولاده فقد ذكروا أنّ له ستة أولاد، وهم: محمّد، وشعيب، وصالح، وعلي، وعمران، وحمزة.

أمّا محمّد فلم أجد له ذكراً في كتب الرّجال، وهو الّذي يروي عن أبيه ويرويه عنه ابنه علي: إسلام أبي طالب(عليه السلام) وقول ميثم ما عبد علي(عليه السلام) ولا أحد من آبائه إلا الله إلى أن ماتوا ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة في أحوال أبي طالب(عليه السلام)، وقال ابن حجر في سلسلة هذا الحديث: وهذه سلسلة شيعية من الغلاة في الرّفض، فلا يفرح به، أقول: لقد كفى هذه السّلسلة فضلاً ووثاقة هذا الجرح اللاذع، والطّعن القارص.

وأمّا شعيب فقد عده الشّيخ طاب ثراه في رجاله من أصحاب الصّادق(عليه السلام)، وعن تعليقه الوحيد طاب ثراه أنّه والد يعقوب الثّقة وأخو صالح الصّالح وأمّا صالح فقد مر عليك في ترجمة ميثم ذكر له ورواية عن حال أبيه ميثم وقد عده الشّيخ طاب ثراه في رجاله من أصحاب الباقر(عليه السلام) مرة ومن أصحاب الصّادق(عليه السلام) أخرى، وهو يعد في التّابعين، وفي الخلاصة للعلامة أنّ الباقر(عليه السلام) قال له: إنّي أحبك وأحب أباك حباً شديداً وهو الّذي قال للباقر(عليه السلام) حدثني، فقال له: أما سمعت الحديث من أبيك، قال لا، كنت صغيراً.

وروى الكشي أنّه دخل مع عباية على حبابة الوالبية ذات الكمال والفضيلة والكرامات، فقال لها عباية: هذا ابن أخيك ميثم، فقالت: ابن أخي والله حقاً.

وقد جعله العلامة في الخلاصة في القسم الأوّل وقال الوحيد كما سبق في أحوال شعيب وأخو صالح الصّالح.

وأمّا علي فعن الوحيد في التّعليقة عن الصّدوق(رحمه الله) عن عون بن محمّد الكندي أنّه ما رأى أحداً قط أعرف بأمور الأئمّة وأخبارهم ومناكحهم منه، وهذا كما تسمع وترى ينبيك عن عظم شأن، وجلالة قدر، وعلم جم، ولكن الّذي أراه أنّ هذه الصّفة لعلي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم الآتي ذكره ولو كان المراد بعلي هذا هو ولد ميثم لا حفيده لظهر لذلك أثره وبان خبره، وكم جاء في أخبار ومناظرات أبي الحسن على حفيد ميثم نسبته إلى ميثم من دون ذكر لسلسلة آبائه إسماعيل وشعيب انظر في ذلك العيون والمحاسن للشيخ المفيد طاب ثراه، فلا أرى وجهاً لأن يذكر علي في أولاد ميثم وأمّا عمران فقد عده الشّيخ طاب ثراه في رجاله من أصحاب السّجاد(عليه السلام) مرة، ومن أصحاب الباقر(عليه السلام) أخرى، ومن أصحاب الصّادق(عليه السلام) ثالثة، وقد روى عنه الثّقتان يعقوب بن

شعيب بن ميثم وأبو بصير، وقد روى عن أبيه عن أمير المؤمنين(عليه السلام) بعض ما يجري على ميثم.

وروى الكشي أنّه دخل مع عباية على حبابة بنت جعفر الأسدي الوالبية، فقال لها عباية: هذا ابن أخيك ميثم، فقالت: ابن أخي والله حقاً ثمّ روى عنها عن الحسين(عليه السلام) كلمة غالية في فضل الشّيعة وكرامة للحسين(عليه السلام) في إبرائها من العلة، وهذه الرّواية نفسها رواها الكشي عن صالح بن ميثم كما أشرنا إليها في صالح، وكان في تلك الرّواية عن صالح ذلك الفضل وتلك الكرامة أيضاً، ولعلهما دخلا معاً على حبابة مع عباية أو دخلا مرتين وكان لكلّ منهما دخول مع عباية واختلاف الرّواة في السّندين يقرب تعدد الدّاخلين والدّخول، فإذن لا مانع من أن يكونا معاً قد دخلا متفرقين مع عباية على حبابة، ويجوز أن يكون الدّاخل واحداً والاشتباه في أنّه عمران أو صالح جاء من الرّواة إلا أنّ الأوّل أقرب إلى الصّواب.

وأمّا عباية الّذي كان معه عمران فهو ابن ربعي الأسدي الكوفي من رجال أبي الحسن والحسن(عليهما السلام)، وهو الّذي روى عنه الأعمش حديث: أنا قسيم الجنة والنّار، وقال فيه الأعمش حدثني عباية بن ربعي أمام الحي، وشأنه في الجلالة مشهور.

وأمّا حمزة فلم يذكر له الرّجاليون ترجمة، وقد جاء حديث ميثم ودخوله على أمّ سلمة وتعليمه لابن عبّاس تفسير القرآن عنه وعن عمران أيضاً وزعم بعضهم أنّ الرّواية عن حمزة خطأ وإنما هو عمران ولم يأت بشاهد على هذه التّخطئة، ولعل الرّواية جاءت عنهما معاً.

أحفاد ميثم

وأمّا أحفاد ميثم فكثيرون، ومنهم أرباب فضل وكلام وفقه وقلما تجد قوماً تكثر فيهم الرّواة والرّواية مثلهم، ونحن نذكر لك شطراً منهم ممن عثرنا على شيء من حاله.

إسماعيل بن شعيب بن ميثم عده الشّيخ طاب ثراه في رجاله من أصحاب الصّادق(عليه السلام)، ولم يذكر فيه أرباب الرّجال شيئاً سوى هذا، غير أنّ الرّجل من بيته تعرف شأنه، فإنّ أخاه يعقوب وحفيده أحمد وأبوه شعيب وكفى بهم دلالة على حسن حاله وجلالة قدره.

يعقوب بن شعيب بن ميثم روى عن الباقر والصّادق والكاظم(عليهم السلام) وله كتاب يرويه عنه جماعة، وعن ابن داود أنّه يروي عن الصّادق(عليه السلام) خمسة آلاف حديث، وقد وثقه أرباب الرّجال فلا تجد غمزاً ولا طعناً فيه وكفى بهذا فضيلة وعظيم منزلة وقد روى عنه جماعة من الميثميين، منهم ابنه محمّد، ومحسن الميثمي، وأحمد بن الحسن الميثمي، ويوسف بن عمران الميثمي كما روى عنه جملة من أرباب الإجماع والثّقات الأجلاء كابن أبي عمير وصفوان بن يحيى وحماد بن عيسى، إلى جماعة أخرى كثيرة.

إبراهيم بن شعيب بن ميثم، عده الشّيخ طاب ثراه في رجاله من أصحاب الصّادق(عليه السلام)، وهو كأخيه إسماعيل لم يذكر الرّجاليون له ترجمة ولم نعرف من روى عنه حتّى نعرف بذلك شأنه.

يوسف بن عمران بن ميثم لم يذكر له الرّجاليون ترجمة نعم ذكروا في يعقوب جماعة من الميثميين الّذين رووا عن يعقوب، ومنهم يوسف هذا، وجاء في طريق رواية الكشي عن ميثم وقول أمير المؤمنين(عليه السلام) لميثم كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعي بني أمية الحديث، وفي تنقيح المقال عن الكشي رواية الحديث عن يوسف عن ميثم وهو بعيد جداً أن يكون قد أدرك جده ميثماً لاسيّما وهو يروي عن يعقوب بن شعيب الّذي هو في طبقته من النّسب، فلا بد أن تكون الرّواية عن أبيه عمران عن أبيه ميثم.

علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم كوفي سكن البصرة وكان من وجوه متكلمي الشّيعة ذكره ابن النّديم في الفهرست في متكلمي الإمامية ص249 وله كتب جليلة، منها: كتاب الإمامة، كتاب الطّلاق، كتاب مجالس هشام بن الحكم، كتاب المتعة، إلى غيرها، وكان من أصحاب الكاظم(عليه السلام) وثقات الرّواة، ويظهر أنّ له تلمذة على هشام بن الحكم، وله مناظرات لطيفة مع أبي الهذيل العلاف والنّظام ومع أهل السّنة ومع النّصارى، نقل عدة منها الشّيخ المفيد طاب ثراه في العيون والمحاسن.

قال الشّيخ المفيد طاب ثراه قال أبو الحسن علي بن ميثم رحمه الله لرجل نصراني لم علقت الصّليب في عنقك فقال النّصراني: لأنّه شبيه الشّيء الّذي صلب عليه عيسى(عليه السلام) فقال أبو الحسن أفكان عيسى(عليه السلام) يحب أن يمثل به، قال النّصراني: لا، فقال أبو الحسن أخبرني عن عيسى أكان يركب الحمار ويمضي عليه في حوائجه، قال: نعم، قال أفكان يحب بقاء الحمار حتّى يبلغ عليه حاجته قال نعم، فقال: فتركت ما كان يحب عيسى(عليه السلام) بقاءه وما كان يركبه في حياته بمحبة منه وعمدت إلى ما حمل عليه عيسى بالكره منه وركبه بالبغض له فعلقته في عنقك فقد كان ينبغي على هذا القياس أن تعلق الحمار في عنقك وتطرح الصّليب وإلا فقد تجاهلت.

وقال(رحمه الله): ودخل يوماً على الحسن بن سهل وإلى جانبه ملحد قد عظمه والنّاس حوله، فقال للحسن: لقد رأيت ببابك عجباً، قال: وما هو، قال: سفينة تعبر بالنّاس من جانب إلى جانب بلا

ملاح ولا ماصر[1] فقال له صاحبه الملحد: إنّ هذا المجنون، قال فقلت: وكيف ذاك، فقال: خشب جماد لا حيلة له ولا قوة ولا حياة فيه ولا عقل كيف يعبر بالنّاس، فقال أبو الحسن: فأيما أعجب هذا أو هذا الماء الّذي يجري على وجه الأرض يمنة ويسرة بلا روح ولا حيلة ولا قوى، وهذا النّبات الّذي يخرج من الأرض، والمطر الّذي ينزل من السّماء، تزعم أنت أنّه لا مدبر لهذا كلّه وتنكر أن تكون سفينة تتحرك بلا مدبر وتعبر بالنّاس، فبهت الملحد.

ولا عجب أن يفحم الملحد ويبهت فأنّ أبا الحسن قد ألزمه الحجة البالغة، وإنّك من هذا ومثله تعرف أنّه صاحب قوة في الحجة، وبراعة في المنطق، ولا غلو لو قيل عنه: أنّه من وجوه المتكلمين ومن أوّل المصنفين في الإمامة، نعم ربما يراد في أنّه أوّل المصنفين في الإمامة: إنّه أوّل المبدعين والمجيدين في التّصنيف فيها وإلا فقد صنف قبله رجال كثيرون في الإمامة.

وإنّه ليؤسفنا ألا يكون اليوم موجوداً كتابه في الإمامة وكتابه مجالس هشام بن الحكم، وما أكثر الأسف على كتب السّلف.

محسن الميثمي هكذا جاء في كتب الرّجال ولم تذكر مَنْ أبوه الّذي به يتصل بميثم، وقد روى عن الصّادق(عليه السلام) رأساً بلا واسطة كما في التّهذيب في باب كيفية الصّلاة، وكما في الكافي في باب الطّاعة والتّقوى، وهذا يدلنا على قرب تولده من ميثم وأنّه أحد أحفاده بواسطة واحدة، وجاء في يعقوب بن شعيب كما سبق رواية محسن هذا عنه فهو في طبقته كما يظهر، وكفى في جلالة قدره وقوعه في سند الكافي والتّهذيب.

محمّد بن يعقوب بن شعيب بن ميثم جاء في ترجمة يعقوب أبيه من كتب الرّجال تمييز يعقوب برواية ابنه محمّد عنه، والعجب أنّ أرباب الرّجال لم يذكروا له ترجمة مستقلة، وما أكثر الرّواة الّذين أهملهم الرّجاليون ولم يذكروا لهم ترجمة وروايتهم موجودة في الكتب المعتبرة.

محمّد بن الحسن بن زياد الميثمي من أصحاب الرّضا(عليه السلام) وكان من ثقات الرّواة وله كتاب يرويه عنه جماعة من الثّقات الأثبات ولم يذكر الرّجاليون من بعد زياد الّذي يتصل به محمّد هذا بميثم ولا يبعد ألا يكون إلا واسطة واحدة.

معاوية بن وهب الميثمي ذكره الشّيخ(رحمه الله) في الفهرست وأثبت له كتاباً، ولم نجد عنه في كتب الرّجال غير هذا.

أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم عدّوه في أصحاب الكاظم(عليه السلام) ونسبوا إليه الوقف ولكن ينافي الوقف ما ذكروه من روايته عن الإمام الرّضا(عليه السلام) وعلى أي حال فقد وثقه الرّجاليون كافة ولم يطعن أحد في وثاقته وقد روى عنه جماعة من الثّقات.

علي بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم أخو أحمد المتقدم الذّكر، وقد أنكر بعضهم نسبة علي هذا إلى ميثم، وقال إنّما هو التّيملي وقد يقال فيه التّيمي من بني فضال، وإنّ بني فضال تيميون وبعد التّصحيف صار الميثمي، ولكن ربما يؤيد كونه الميثمي وصحة هذه النّسبة ما جاء في ترجمة أحمد المتقدم وتمييزه برواية علي بن الحسن أخيه عنه وهذا كما ترى يؤيد وجود علي هذا.

أحمد بن الحسين الميثمي وحكي عن ابن بابويه في العيون أنّه واقفي ولم يذكر الرّجاليون عنه غير هذا، ولعله هو أحمد ابن الحسن المتقدم ذكره وصحف الحسن إلى الحسين.

هذا ما وقفت عليه من أحفاد ميثم، ولعل هناك جماعة أخرى لم أقف عليهم، وإذا ساعد التّوفيق على الوقوف على أناس آخرين منهم فسوف ألحقهم بمن سبق.

وله الحمد تعالى على ما من به علي من التّوفيق للكتابة عن ميثم التّمار رضوان الله عليه ورحمته وبركاته ولقد استقصيت حسب الإمكان ما في كتب الرّجال والتّراجم وغيرها ما كتبت عنه، ولا أقول: إنّ هذا كلّ ما كتبوه عنه أو أنّ هذا كلّ ما ينبغي أن يكتب عنه، لأنّ الرّجل عظيم المنزلة عند أمير المؤمنين(عليه السلام) وعند أهل البيت(عليهم السلام) عظيم المنزلة في العلم والمعارف والصّلاح، عظيم المنزلة عند النّاس في يومه، وإنّ قبره اليوم وكثرة زائريه ترشدك إلى هذه المنزلة الرّفيعة، ولكن لم ترو عنه كتب الأخبار والآثار ما يكفي للباحث والكاتب ليدلل بها على عظيم تلك المنزلة، فإنا كتبنا عنه ما قرأت وسمعت وفي النّفس أنّه أكبر مما كتبناه عنه وعسى أن نقف بعد هذا على شيء من أحواله مما يزيدنا علماً بأكثر مما علمناه عنه والله ولي التّوفيق والتّسديد وكان الفراغ منه ظهر الثّلاثاء السّادس عشر من شهر ذي القعدة من شهور السّنة 1364 الرّابعة والسّتين بعد الألف والثّلثمائة هجرية على مهاجرها وآله أفضل الصّلاة والتّحية.

المصادر والمراجع

- أصول الكافي
- آمال الصّدوق
- إرشاد المفيد
- الفصول المختارة للسيد المرتضى
- آمالي الشّيخ الطّوسي
- بشارة المصطفى لأبي جعفر محمّد بن أبي القاسم الآملي الطّبري
- رجال الكشي

(1) الماصر: حبل يوضع بين الشّطين لتعبر عليه السّفينة.

- خلاصة العلامة
- مرآة العقول للمجلسي ج2 باب التقية
- البحار ج9 و7
- الخراج للراوندي
- أعلام الورى للطبرسي
- مناقب ابن شهراشوب
- رجال المامقاني
- حلية الأولياء لأبي نعيم
- ميثم التّمار للسيد عبد الرّزاق المفرم
- شرح النّهج الحديدي
- صحيح مسلم
- سفينة البحار للشيخ عبّاس القمي
- الكنى والألقاب له
- نفس المهموم له
- الإصابة لابن حجر
- تاريخ بغداد
- فهرست ابن النّديم
- فهرست الشّيخ
- معجم البلدان
- مراصد الاطلاع
- القاموس تاج العروس

* * *